إتحاف أهل الإيمان

بوظائف شهر رمضان
ويليها رسالة إلى الأخوات المسلمات

جمع وتحقيق الفقيرين إلى الله تعالى
عبد الله بن جار الله بن ابراهيم الجار الله
و
رزق بن حمد المصري
غفر الله لهما ولوالديهما ولجميع المسلمين

بســـم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الخلائق أجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أما بعد فإن شهر رمضان موسم عبادات متنوعة من صيام وقيام وقراءة قرآن وصدقة ودعاء واستغفار إلى غير ذلك والناس بحاجة إلى من يذكرهم بها، ويحثهم عليها، ويرغبهم فيها، وقد كثرت الكتب المؤلفة في وظائف شهر رمضان ما بين مطولة ومختصرة وبين ذلك إلا أنه لم يوجد كتاب يغني عن غيره جامع بين الأحكام والمواعظ والترغيب والترهيب وبعض المؤلفات في هذا الموضوع لا تخلو من الأحاديث الضعيفة والكلام المسجوع الذي هو غير مألوف في هذا العصر فاستخرنا الله تعالى على جمع كتاب متوسط جامع لما يحتاج إليه في رمضان بحسب الإمكان. وقد استفدنا كثيراً من كتاب **(عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان)** للشيخ إبراهيم بن عبيد أثابه الله وغفر لنا وله ولوالدينا ولجميع المسلمين ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن من أجمع الكتب التي ألفت في وظائف شهر رمضان وأنفعها كتابان هما مجالس شهر رمضان للشيخ محمد بن صالح العثيمين والمناهل الحسان في دروس رمضان للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان أثابهما الله تعالى، ولعل هذا الكتاب يكون مكملاً لهما، وقد توجنا هذا الكتاب المبارك بثلاث رسائل مهمة في أحكام الصيام والزكاة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أثابه الله تعالى ونفع بعلومه.

وألفنا هذا الكتاب من باب التعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساهمة في الخير وأداء الواجب ونشر العلم.

وأضفنا كل قول إلى قائله. واستفدنا كثيراً من مجالس شهر رمضان ومن الضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ محمد الصالح العثيمين، ومن مجالس شهر رمضان

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند، ومن الخطب المنبرية في المناسبات العصرية للشيخ الدكتور صالح الفوزان. أثابهم الله تعالى وغفر لنا ولهم ولوالدينا ولجميع المسلمين.

وبما أن شهر رمضان المبارك يحضر فيه النساء غالباً إلى المساجد لصلاة التراويح وقيام رمضان ناسب أن يذكرن بما لهن وعليهن من واجبات وحقوق لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأزواجهن فجمعنا في هذا الموضوع رسالة قيمة في آخر الكتاب بعنوان **«رسالة إلى الأخوات المسلمات»** وأسندنا الأحاديث إلى مخرجيها وذكرنا أرقام الآيات من سورها في المصحف الشريف.

وقد اشتمل هذا الكتاب على ثلاثين باباً، وفي آخر كل باب «فصل» غالباً ليقرأ الباب على الجماعة بعد آذان العشاء، وإذا كان قصيراً يقرأ بعده ما تيسر مما يختص بالنساء، و يقرأ الفصل بعد صلاة العصر.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن ينفع بهذا الكتاب من ألفه أو كتبه أو طبعه أو قرأه أو سمعه وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ومن أسباب الفوز لديه بجنات النعيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسميناه **«اتحاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان»** وذكرنا المراجع والفهرس في آخر الكتاب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

المؤلفان

عبد الله بن جار الله الجار الله — **رزق بن حمد المصري**

١٤٠٩هـ

البـــــاب الأول

في البشارة بقدوم شهر رمضان المبارك (*)

الحمد لله الذي جعل لعباده مواسم يتقربون إليه فيها بأنواع الطاعات، فيغفر لهم الذنوب و يرفع لهم الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله. حكم فقدّر. وشرع فيسر. ولا يزال يفيض على عباده من أنواع البر والبركات. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أول سابق إلى الخيرات. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يحافظون على طاعة ربهم في جميع الأوقات ويخصون أوقات الفضائل بمزيد من القربات وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واعلموا أنه يجب على المسلم أن يعبد ربه و يطيعه في جميع مدة حياته. قال تعالى: **(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)** (١).

قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت و ينبغي. له أن يخص مواسم الخير بمزيد اهتمام واجتهاد وقد جعل الله مواسم للعبادة تضاعف فيها الحسنات أكثر من غيرها. ومن هذه المواسم شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان. فيا له من موسم عظيم الشأن. وقد نزل عليكم ضيفا مباركاً و وافداً كريما. فاستقبلوه بالغبطة والسرور، واشكروا الله إذ بلغكم إياه. واسألوه أن يعينكم على العمل الصالح فيه واسألوه القبول. فقد كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يدعوا الله ببلوغ رمضان فقد روى الطبراني وغيره عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان. فكان إذا دخل شهر رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان و بلغنا رمضان. وكان السلف الصالح يدعون الله أن يبلغهم رمضان فإذا بلغهم إياه دعوا الله أن يتقبله منهم وكان صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم هذا الشهر المبارك ــ فقد روى ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما عن سلمان رضى الله عنه. قال: خطبنا

(*) من الخطب المنبرية للشيخ صالح الفوزان ١/٧٥.

(١) سورة الحجر آية ٩٩.

رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: **(يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر. جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر. والصبر ثوابه الجنة. وشهر المواساة. وشهر يزاد فيه الرزق. ومن فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطِّر به الصائم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء. ومن سقى صائما سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة. وآخره عتق من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال. خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار).** رواه ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما.

عباد الله: لقد بين لكم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هذا الحديث الشريف فضل هذا الشهر وما فيه من الخيرات وحثكم على الاجتهاد فيه بالأعمال الصالحة من فرائض ونوافل. من صلوات وصدقات. و بذل معروف وإحسان وصبر على طاعة الله وعمارة نهاره بالصيام وليله بالقيام. واجتهاد في الدعاء والذكر وطلب لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. فلا تضيعوه بالغفلة والإعراض كحال الأشقياء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فلا يستفيدون من مرور مواسم الخير عليهم ولا يعرفون لها حرمة ولا يُقَدِّرون لها قيمة فيا أيها العاصي تب إلى ربك وانتبه لنفسك واستقبل هذا الشهر بالإقبال على الله ــ فإن الله يغفر الذنوب جميعاً وداوم على التوبة والاستقامة في بقية

عـمـرك. لعل الله أن يختم لك بالسعادة. ولعلك تكتب في هذا الشهر من جملة العتقاء من الـنـار. شـهـر رمـضـان تفتح فيه أبواب الجنان. وتغلق فيه أبواب النيران و يصفد فيه كل شـيـطـان وتتنزل فـيه الخيرات من الرحمن. شهر عظمه الله فعظموه وضيف كريم نزل بكم فأكرموه واحمدوا الله على بلوغه واشكروه.

عباد الله: كثير من الناس لا يعرفون هذا الشهر إلا أنه شهر لتنو يع المآكل والمشارب فـيـبـالغون في إعطاء نفوسهم ما تشتهي و يكثرون من شراء الكماليات التي لا داعي لها ــ ومعلوم أن الإكثار من الأكل يكسل عن الطاعة ــ والمطلوب من المسلم في هذا الشهر أن يقلل من الطعام حتى ينشط للعبادة والبعض الآخر لا يعرف شهر رمضان إلا أنه شهر الـنـوم والـبطالة فتجده معظم نهاره نائماً فينام حتى عن أداء الصلاة المفروضة. والبعض الآخـر مـن الـنـاس لا يـعرف شهر رمضان إلا أنه وقت للسهر في الليل على اللهو واللعب والـغـفلة فإذا فرغ من سهره تسحر ونام عن صلاة الفجر. والبعض الآخر يجلس على مائدة إفـطـاره و يـتـرك صـلاة المـغرب مع الجماعة. وهذا ما عليه كثير من الناس اليوم في شهر رمـضـان ــ أنـهـم يـضـيـعون فيه الواجبات و يرتكبون فيه المحرمات. ولا يخشون الله ولا يخـافونه ــ فما قيمة رمضان عند هؤلاء وماذا يستفيدون منه. والبعض الآخر من الناس: لايعرفون شهر رمضان إلا أنه موسم للتجارة وعرض السلع فينشطون على البيع والشراء فيه و يـلازمـون الأسـواق ولا يحـضرون المساجد إلا قليلا من الوقت وعلى عجل فصار رمضان عندهم موسماً للدنيا لا للآخرة. يطلب فيه العَرَضَ الفاني و يترك النافع الباقي، وصنف من الناس لا يعرف شهر رمضان إلا أنه وقت للتسول في المساجد والشوارع فيمضي أوقاته بين ذهـاب وإيـاب. و يُـظـهـر نـفسه بمظهر الفقر والفاقة وهو كذاب مخادع أو يُظهر نفسه بمـظـهـر المـصـاب بـالآفات وهو سليم معافى ــ فيجحد نعمة الله. و يأخذ المال بغير حق. و يـضـيـع وقـته الغالي فيما هو مضرة عليه. هذا قدر شهر رمضان في عرف هذه الأصناف من الناس. وهذا من أعظم الحرمان لهم وأشد المصائب عليهم. حيث ضيعوا الفرصة على أنفسهم. وأعرضوا عن فوائد هذا الشهر وصرفوا أوقاته في غير ما هيئت له.

عباد الله: كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يجتهد في هذا الشهر أكثر مما يجتهد في غيره بل كان يتفرغ فيه عن كثير من المشاغل و يقبل على عبادة ربه. وكان السلف الصالح يهتمون بهذا الشهر غاية الاهتمام و يتفرغون فيه للتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة. كانوا يجتهدون في قيام ليله وعمارة أوقاته بالطاعة ــ قال الزهري رحمه الله إذا دخل رمضان إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام وكانوا يحرصون على الجلوس في المساجد و يقولون: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً ــ وكانوا يحرصون على صلاة التراويح ولا ينصرفون منها حتى ينصرف الإمام. وقد قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ **(من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)** متفق عليه.

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ **(من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)** رواه أهل السنن.

فاتقوا الله أيها المسلمون وحافظوا على شهركم. وأكثروا فيه من طاعة ربكم لعلكم تكتبون فيه من الفائزين قال الله تعالى:

(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون. وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)(٢) و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(٢) سورة البقرة ١٨٥ ــ ١٨٦.

فصـــل

في التهنئة بقدوم رمضان

عـن أبـي هـريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إذا دخل رمضـان، فـتـحـت أبـواب الـرحمة، وغـلـقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين، وفـتـحـت أبـواب الجنـة**» (*) وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «**إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار، فـلـم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، و ينادي مناد: يا بـاغـي الخير أقبل، و يا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة**» رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما.

وعـن أنـس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ماذا يسـتـقـبلكم وتستقبلونه ثلاث مرات؟ فقال عمر: يارسول الله، وحي نزل، قال لا، قال عدو حضر، قال لا، قال فماذا: قال: إن الله يغفر في أول ليلة من شهر رمضان لكل أهل هذه القبلة وأشار بيده إليها، فجعل رجل بين يديه يهز رأسه و يقول: بخ بخ!! فـقـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: يا فلان ضاق بها صدرك؟ قال: لا، ولـكـن ذكرت المنافق: فقال: إن المنافقين هم الكافرون وليس للكافرين في ذلك شيء**) أخرجه ابن خزيمة والبيهقي.(١)

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان، فكان إذا دخل رجب يـقـول: «**اللـهـم بـارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان**» وقال المعلى بن الفضل: كـان الـسـلـف يـدعـو الله سـتة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله مـنـهـم، قـال يحـي بـن أبـي كـثير كان من دعائهم: [اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي

(*) رواه البخاري ومسلم.

(١) انظر الترغيب والترهيب للمنذري حديث رقم ١٦ ـــ ١٧ من كتاب الصوم.

رمضان وتسلمه مني متقبلا].(١)

واعلم أنه يجب صيام شهر رمضان بأحد أمرين: إما برؤية هلاله، أو إكمال عدة شعبان ثلاثين يوما، و ينبغي للإنسان أن يتلقى هذا الشهر الشريف بالقبول والفرح والاهتمام بأداء حقوق الصوم فيعمر نهاره بالصيام وليله بالقيام،و بلوغ رمضان وصيامه نعمة عظيمة على مَنْ أقدره الله عليه. و يدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم، ثم مات الثالث على فراشه بعدهما، فَرُئِيَ في المنام سابقا لهما. فقال النبي صلى الله عليه وسلم **«أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة وأدرك رمضان فصامه؟ فوالذي نفسي بيده إن بينهما لأ بعد مما بين السماء والأرض»** أخرجه أحمد وغيره.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه يقول: **«قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغل فيه الشياطين. فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»** رواه الإمام أحمد والنسائي (٢) و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) لطائف المعارف ص ١٥٦.

(٢) قال الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ٦١٢/١ وهو حديث جيد لشواهده.

الباب الثاني (*)
في صوم رمضان ومن يجب عليه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من مواسم الخيرات وما حباكم به من الفضائل والكرامات وعظموا تلك المواسم واقدروها قدرها بفعل الطاعات والقربات واجتناب المعاصي والموبقات فإن تلك المواسم ما جعلت إلا لتكفير سيئاتكم وزيادة حسناتكم ورفعة درجاتكم.

عباد الله: لقد استقبلتم شهراً كريما وموسماً رابحاً عظيماً لمن وفقه الله فيه للعمل الصالح، استقبلتم شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن، شهراً تضاعف فيه الحسنات وتعظم فيه السيئات، أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، جعل الله صيام نهاره فريضة وركنا من أركان إسلامكم وقيام ليله تطوعا لتكميل فرائضكم، من صامه إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانا واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن أتى فيه بعمرة كان كمن أتى بحجة، فيه تفتح أبواب الجنة وتكثر الطاعات من أهل الإيمان وتغلق أبواب النار فتقل المعاصي من أهل الإيمان وتغل الشياطين فلا يخلصون إلى أهل الإيمان بمثل ما يخلصون إليهم في غيره.

يها المسلمون: صوموا لرؤية هلال رمضان ولا تقَدَّموا عليه بصوم يوم أو يومين لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك إلا من كان عليه قضاء من رمضان الماضي فليقضه أو

(*) من خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين ص ٤٦٠.

كان له عادة بصوم فليصمه مثل من له عادة بصوم يوم الأثنين أو الخميس فصادف قبل الشهر بيوم أو يومين أو كان له عادة بصيام أيام البيض ففاتته فليس عليه بأس بصيامها قبل رمضان بيوم أو يومين، ولا تصوموا يوم الشك وهو اليوم الثلاثين من شعبان إذا كان في ليلته ما يمنع رؤية الهلال من غيم أو قتر أو نحوهما. ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال «**لا تصوموا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين**» ومن حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «**فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين**» وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه [من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم]. ومن رأى الهلال يقينا فليخبر به ولات الأمور ولا يكتمه. وإذا أعلن في إذاعتكم ثبوت دخول رمضان فصوموا وإذا أعلن فيه ثبوت دخول شوال فأفطروا لأن إعلان ولاة الأمور ذلك حكم به. (جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه رأى الهلال فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فأذن في الناس يا بلال أن يصوموا غداً) رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

وصوم رمضان أحد أركان الإسلام فرضه الله تعالى على عباده فمن أنكر فريضته فهو كافر لأنه مكذب لله ورسوله واجماع المسلمين قال الله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)**(١) وقال تعالى: **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** (٢).

فالصوم واجب على كل مسلم عاقل بالغ قادر مقيم ذكراً كان أم أنثى ليست حائضاً ولا نفساء. فلا يجب الصوم على كافر فلو أسلم أثناء رمضان لم يلزمه قضاء ما

---

(١) سورة البقرة ــ آية ١٨٣.

(٢) سورة البقرة ــ آية ١٨٥.

مضى منه ولو أسلم في أثناء يوم من رمضان أمسك بقية اليوم ولم يلزمه قضاؤه.

ولا يجب الصوم على صغير لم يبلغ لكن إذا كان لايشق عليه أمر به ليعتاده فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يُصَوِّمون أولادهم حتى أن الصبي ليبكي من الجوع فيعطونه لعبة يتلهى بها إلى الغروب. ويحصل بلوغ الصغير إذا كان ذكراً بواحد من أمور ثلاثة: أن يتم له خمس عشرة سنة أو تنبت عانته أو ينزل منياً باحتلام أو غيره وتزيد الأنثى بأمر رابع وهو الحيض فمتى حصل للصغير واحد من هذه الأمور فقد بلغ ولزمته فرائض الله وغيرها من أحكام التكليف إذا كان عاقلاً. ولا يجب الصوم على من لا عقل له كالمجنون والمعتوه ونحوهما فالكبير المهذري لا يلزمه الصوم ولا الإطعام عنه ولا الطهارة ولا الصلاة لأنه فاقد التمييز فهو بمنزلة الطفل قبل تمييزه. ولا يجب الصوم على من يعجز عنه عجزاً دائما كالكبير والمريض مرضا لا يرجى برؤه ولكن يطعم بدلا عن الصيام عن كل يوم مسكينا بعدد أيام الشهر لكل مسكين ربع صاع نبوي من البر أي أن الصاع يكفي لأربعة فقراء عن أربعة أيام والأحسن أن يجعل مع الطعام شيئا يأدمه من لحم أو دهن. أما المريض بمرض يرجى برؤه فإن كان الصوم لايشق عليه ولا يضره وجب عليه أن يصوم، لأنه لا عذر له وإن كان الصوم يشق عليه ولا يضره فإنه يفطر و يكره له أن يصوم وإن كان الصوم يضره فإنه يحرم عليه أن يصوم ومتى برىء من مرضه قضى ما أفطر فإن مات قبل برئه فلا شيء عليه. والمرأة الحامل التي يشق الصوم عليها لضعفها أو ثقل حملها يجوز لها أن تفطر ثم تقضي إن تيسر لها القضاء قبل وضع الحمل أو بعده إذا طهرت من النفاس، والمرضع التي يشق عليها الصوم من أجل الرضاع أو ينقص لبنها من الصوم نقصاً يخل بتغذية الولد تفطر ثم تقضي في أيام لا مشقة فيها ولا نقص.

والمسافر إن قصد بسفره التحيل على الفطر فالفطر حرام عليه ويجب عليه الصوم وإن لم يقصد بسفره التحيل على الفطر فهو مخير بين أن يصوم و بين أن يفطر و يقضي عدد الأيام التي أفطر، والأفضل له فعل الأسهل عليه فإن تساوى عنده الصوم والفطر فالصوم أفضل لأنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولأنه أسرع في إبراء ذمته وأخف من القضاء

غالباً. وإن كان الصوم يشق عليه بسبب السفر كره له أن يصوم، وإن عظمت المشقة به حرم أن يصوم لأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان فصام فقيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب والناس ينظرون فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال (أولئك العصاة أولئك العصاة). ولا فرق في المسافر بين أن يكون سفره عارضاً لحاجة أو مستمراً في غالب الأحيان مثل أصحاب سيارات الأجرة (التكاسي) أو غيرها من السيارات الكبيرة فإنهم متى خرجوا من بلدهم فهم مسافرون يجوز لهم ما يجوز للمسافرين الآخرين من الفطر في رمضان وقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين والجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء عند الحاجة والفطر لهم أفضل من الصيام إذا كان الفطر أسهل لهم و يقضونه في أيام الشتاء لأن أصحاب هذه السيارات لهم بلد ينتمون إليها وأهل فيها يأوون إليهم فمتى كانوا في بلدهم فهم مقيمون وإذا خرجوا منها فهم مسافرون لهم ما للمسافرين وعليهم ما على المسافرين ومن سافر في أثناء اليوم في رمضان وهو صائم فالأفضل أن يتم صوم يومه فإن كان فيه مشقة فليفطر ثم يقضيه. ولا يتقيد السفر بزمن فمن خرج من بلده مسافراً فهو على سفر حتى يرجع إلى بلده ولو أقام مدة طويلة في البلد التي سافر إليها إلا أن يقصد بتطويل مدة الإقامة التحيل للفطر فإنه يحرم عليه الفطر و يلزمه الصوم لأن فرائض الله تعالى لا تسقط بالتحيل عليها.

ولا يجب الصوم على الحائض والنفساء ولا يصح منهما إلا أن تطهرا قبل الفجر ولو بلحظة فيجب عليهما الصيام و يصح منهما وإن لم تغتسلا إلا بعد طلوع الفجر و يلزمهما قضاء ما أفطرتا من الأيام.

أيها المسلمون: لقد رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في قيام هذا الشهر وقال(من قام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه). وإن صلاة التراويح من قيام رمضان فأقيموها وأحسنوها وقوموا مع إمامكم حتى ينصرف فإن من قام مع الإمام حتى ينصرف

كتب له قيام ليلة تامة وإن كان نائما على فراشه. وإن على الأئمة أن يتقوا الله عز وجل في صلاة التراويح فيراعوا من خلفهم و يحسنوا الصلاة لهم فيقيمونها بتأن وطمأنينة ولا يسرعوا فيها فيحرموا أنفسهم ومن وراءهم الخير أو ينقروها نقر الغراب لا يطمئنون في ركوعها وسجودها وقعودها والقيام بعد الركوع فيها،على الأئمة أن لا يكون هم الواحد منهم أن يخرج قبل الناس أو أن يكثر عدد التسليمات دون إحسان الصلاة فإن الله تعالى يقول: **(ليبلوكم أيكم أحسن عملا)**(٣) لم يقل أيكم أسرع نهاية أو أكثر عملاً وقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو أحرص الناس على الخير والأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر كان لا يزيد على إحدى عشرة ركعة في رمضان ولا في غيره. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة. وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قام بأصحابه في رمضان ثم ترك ذلك خشية أن تفرض على الناس فيعجزوا عنها. وصح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أمر أبي بن كعب وتميما الداري أن يقوما في الناس بإحدى عشرة ركعة فهذا العدد الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم و واظب عليه واتبعه فيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أفضل عدد تصلى به التراويح ولو زاد الإنسان رغبة في الزيادة لا رغبة عن السنة بعد أن تبينت له لم ينكر عليه لورود ذلك عن بعض السلف وانما ينكر الإسراع الفاحش الذي يفعله بعض الأئمة فيفوت الخير عليه وعلى من خلفه.

وفقني الله وإياكم لاغتنام الأوقات بالطاعات وحمانا من فعل المنكر والسيئات وهدانا صراطه المستقيم وجنبنا صراط أصحاب الجحيم وجعلنا ممن يصوم رمضان و يقومه إيمانا بالله واحتسابا لثواب الله إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(٣) سورة الملك آية (٢).

فصـــل

في فضل تلاوة القرآن وتدبره

قال الله تعالى: **(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)**(١).

يخبر تعالى عن عظمة القرآن وفضله وجلاله، وأنه لو خوطب به صم الجبال لتصدعت من خشية الله فهذه حال الجبال وهي الحجارة الصلبة وهذه رقتها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربها وعظمته وخشيته.

فيا عجبا من مضغة لحم كانت أقسى من هذه الجبال تَخَوَّف من سطوة الجبار وبطشه، فلا ترعوي ولا ترتدع، وتسمع آيات الله تتلى عليها فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب، فليس بمستنكر على الله عز وجل، ولا يخالف حكمته أن يخلق لها ناراً تذيبها إذا لم تلن بكلامه وزواجره ومواعظه فمن لم يلن قلبه لله في هذه الدار، ولم ينب إليه ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته، فليتمتع قليلاً، فإن أمامه المليّن الأعظم، وسيرد إلى عالم الغيب والشهادة فيرى و يعلم.

واعلم أن شهر رمضان له خصوصية بالقرآن، كما قال تعالى: **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)**.

وكان جبريل عليه السلام يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل ليلة في رمضان.

وفي فضل تلاوة القرآن أخبار كثيرة، والمطلوب القراءة بالتدبر.

وأخرج الإمام أحمد من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعا **«إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره، كالرجل الشاحب (المتغير اللون) فيقول: هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك وكل تاجر من وراء تجارته، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، و يوضع على رأسه تاج**

---

(١) سورة الحشر آية (٢١).

الوقار، ثم يقال له: إقرأ وارق في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذاً كان أو ترتيلا».

قال ابن مسعود رضي الله عنه: [ينبغي لقارىء القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، و بنهاره إذا الناس مفطرون، و ببكائه إذا الناس يضحكون، و بورعه إذا الناس يخلطون، و بصمته إذا الناس يخوضون، و بخشوعه إذا الناس يختالون، و بحزنه إذا الناس يفرحون، و ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزونا حكيماً حليماً سكيناً ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا، ولا صخابا ولا صياحا ولا حديداً](١).

و ينبغي تحسين الصوت بالقراءة، فيقرأ بترتيل وحزن وتدبر وقد استمع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة لقراءة أبي موسى الأشعري، وقال له «لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة» فقال: [لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً] أي: حسنته وزينته بصوتي تزيينا.

وكان رضي الله عنه حسن الصوت، حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: **«لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود».**

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» رواه أبو داود بإسناد صحيح ومعنى يتغن بالقرآن يحسن صوته بالقرآن.

و ينبغي له أن يبكي، فإن لم يبك فليتباك، وأن يسأل الله عند آية الرحمة و يتعوذ عند آية العذاب، ولا ينبغي له السرعة والهذرمة و ينبغي أن يكون ذا سكينة و وقار وقناعة بما قسم الله له، لأن الله امتن عليه بنعمة عظيمة، بأن جعله حاملاً لكتابه. و بالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد.

---

(١) انظر لطائف المعارف ص ١٨٣.

الباب الثالث

في فضل شهر رمضان المبارك (*)

أيه المسلمون: إنكم في شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات، وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع الدرجات، وتغفر فيه السيئات شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأ وليائه العطيات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بصيامه وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم، فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات والتناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم، وفي الصيام فوائد كثيرة وحِكَم عظيمة، منها تطهير النفوس وتهذيبها وتزكيتها من الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل وتعو يدها الأخلاق الكريمة كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله و يقرب لديه، ومن فوائد الصوم أنه يُعَرِّفُ العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره إلى ر به و يُذكره بعظيم نعم الله و يُذكره أيضا بحاجة إخوانه الفقراء فيوجب له ذلك شكر الله سبحانه والاستعانة بنعمه على طاعته ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفوائد في قوله عز وجل **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)**(١).

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣

(*) لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

فأوضح سبحانه أنه كتب علينا الصيام لنتقيه سبحانه، فدل ذلك على أن الصيام وسيلة للتقوى، والتقوى هي طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه عن إخلاص لله عز وجل ومحبة ورغبة ورهبة، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شئون الدين والدنيا، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى بعض فوائد الصوم في قوله صلى الله عليه وسلم: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**(١) فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الصوم وجاء للصائم أي وسيلة لطهارته وعفافه، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم والصومُ يضيّق تلك المجاري ويُذكّر بالله وعظمته فيضعف سلطان الشيطان ويقوى سلطان الإيمان وتكثر بسببه الطاعات من المؤمن وتقل به المعاصي، وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم للمتأمل من ذوي البصيرة ومنها أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ويكسبه صحة وقوة، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء وعالجوا به كثيراً من الأمراض، وقد ورد في فضله وفرضيته آيات وأحاديث كثيرة، قال الله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات)** إلى أن قال عز وجل **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون)**(٢) وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»** وثبت عنه صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٣ ــ ١٨٥.

أنه قال: «**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف**» يقول الله عز وجل [**إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي**) و يقول صلى الله عليه وسلم «**للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(١) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين**» وأخرج الترمذي وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، و ينادي مناد يا باغي الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر الله له ما تقدم من ذنبه**» (وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان في الغالب لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً)(٢) (وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه في بعض الليالي يصلي ثلاث عشرة ركعة (٣) وليس في قيام رمضان حد محدود لقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قيام الليل قال: «**مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى**»(٤) ولم يحدد صلى الله عليه وسلم للناس في قيام الليل ركعات محدودة، بل أطلق لهم ذلك، فمن أحب أن يصلي إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، أو ثلاثا وعشرين، أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه، ولكن الأفضل هو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه في أغلب الليالي

---

(١) رواه البخاري مسلم من حديث عائشة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

وهو إحدى عشرة ركعة مع الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة، وعدم العجلة لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب، والخشوع فيها، وأداؤها كما شرع الله باخلاص، وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب، كما قال الله سبحانه **(قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون)**(٥) وقال النبي صلى الله عليه وسلم **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)**(١) وقال للذي أساء في صلاته: «**إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها**»(٢) وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها، بل ينقرها نقرا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة فالواجب الحذر من ذلك. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته**» قالوا يارسول الله وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها**»(٣) وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها(٤) فيا معشر المسلمين: اغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه رحمكم الله بأنواع العبادة والقربات، وسارعوا فيه إلى الطاعات، فهو شهر عظيم جعله الله ميدانا لعباده يتسابقون إليه فيه بالطاعات و يتنافسون فيه بأنواع الخيرات، فأكثروا فيه رحمكم الله من الصلوات والصدقات وقراءة القرآن الكريم والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، فتأسوا بنبيكم صلى الله عليه وسلم واقتدوا به في مضاعفة الجود والإحسان في شهر رمضان، وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام وأحتسبوا، أجر ذلك عند الملك العلام،

(٥) سورة المؤمنون آية ١ ـــ ٢.

(١) رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم وابن القيم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه.

(٤) في قوله في الحديث المتقدم ارجع فصل فإنك لم تصل متفق عليه.

واحفظوا صيامكم عما حرم الله عليكم من الأوزار والآثام، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»**(٥) وقال عليه الصلاة والسلام **«الصيام جنه فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن امرؤ سابه أحد فليقل إني امرؤ صائم»**(٦).

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«ليس الصيام عن الطعام والشراب، وإنما الصيام عن اللغو والرفث»**(٧) وقال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: [إذا صمت فليصم سمعك و بصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة ولا تجعل يوم صومك و يوم فطرك سواء..] فينبغي للصائم الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل والإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار، وسائر أنواع القربات في الليل والنهار اغتناما للزمان ورغبة في مضاعفة الحسنات ومرضات فاطر الأرض والسماوات واحذروا رحمكم الله كل ما ينقص الصوم و يضعف الأجر، و يغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي كالتهاون بالصلاة والبخل بالزكاة وأكل الربا وأكل أموال اليتامى وأنواع الظلم وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والغيبة والنميمة والكذب وشهادة الزوروالدعاوى الباطلة والأيمان الكاذبة وحلق اللحى وتقصيرها وإطالة الشوارب والتكبر واسبال الثياب وشرب المسكرات والتدخين وتبرج النساء وعدم تسترهن من الرجال والتشبه بنساء الكفرة في لبس الثياب القصيرة وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله، وهذه المعاصي التي ذكرنا محرمة في كل زمان ومكان ولكنها في رمضان أشد تحريما وأعظم إثما لفضل الزمان وحرمته، ومن أقبح هذه المعاصي وأخطرها على المسلمين ما أبتلى به كثير من الناس من التكاسل عن الصلوات والتهاون بأدائهاا في الجماعة في المساجد، ولا شك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك، قال الله تعالى: **«إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا**

---

(٥) رواه البخاري (٦) رواه البخاري ومسلم.

(٧) رواه البيهقيفي السنن والحاكم عن أبي هريرة وصححه السيوطي.

قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى)[1] وقال النبي صلى الله عليه وسلم «**من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر**»[2] وقال له صلى الله عليه وسلم رجل أعمى: يا رسول الله: إني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلائمني فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «**هل تسمع النداء للصلاة قال نعم، قال فأجب**»[3] وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض، وقال رضي الله عنه: لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم» (٤).

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضاً ما بلي به الكثير من الناس من استماع الأغاني والآت الطرب وإعلان ذلك في الأسواق وغيرها، ولا ريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن الكريم والانتفاع به، ومن أعظم الأسباب أيضاً في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى **(ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين)**(٥) ولقد فسر أهل العلم لهو الحديث بأنه الغناء والآت اللهو وكل كلام يصد عن الحق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «**ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**» (٦) والحر هو الفرج الحرام والحرير معروف والخمر هو كل مسكر والمعازف هي الغناء وآلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب، والمعنى أنه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال الغناء وآلات الملاهي، وقد وقع ذلك كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وهذه من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما

---

(١) سورة النساء آية ١٤٢.

(٢) رواه الدارقطني وابن ماجه وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) سورة لقمان آية ٦.

(٦) رواه البخاري.

ينبت الماء الزرع فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله، واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره، وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة... والله المسئول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه وأن يتقبل منا جميعا صيامنا وقيامنا، وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه، وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شيء إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم و بارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه. (١)

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد

---

(١) عن مجلة رابطة العالم الإسلامي في ١٣٩٧/٩/١هـ.

فصـــل

فضل هذا الشهر على غيره من الشهور

قال الله تعالى: **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)**(١) هذا مدح من الله تعالى لشهر رمضان يمتدحه من بين سائر الشهور بأنه اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، وكما اختصه بذلك فقد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء كما ورد ذلك في مسند الإمام أحمد من حديث واثلة بن الأسقع (٢) وكذلك اختصه الله بالصيام ومضاعفة الأجور والأعمال وفي معنى إنزال القرآن فيه أربعة أقوال:

أحدُها: أنه أنزل في شهر رمضان جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا وذلك في شهر رمضان في ليلة القدر ثم أنزل نجوماً مفرقا بعده بحسب الوقائع على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنزل القرآن بفرض صيامه.

الثالث: أنزل بفضله القرآن.

الرابع: ابتدىء فيه بإنزال القرآن (٣).

(هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) أي بيانا لهم والبينات هي الآيات الواضحات.

وفي حديث سلمان [أنه شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار] فأول هذا الشهر رحمة ولهذا ورد في الحديث الصحيح **«أنه تفتح فيه أبواب الرحمة»** وهي للمحسنين المتقين. قال الله تعالى: **(إن رحمت الله قريب من المحسنين)** فيفاض على المتقين فى أول الشهر خلع الرحمة والرضوان و يعامل أهل الإحسان بالفضل والإحسان

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥. (٢) انظر تفسير ابن كثير ١/٢١٥.

(٣) انظر كتاب قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة ص ٢٥٨.

وهو شهر الصبر ثوابه الجنة و يزاد فيه رزق المؤمن وتفتح فيه أبواب لاجنان وتغلق فيه أبواب النيران و يصفد فيه كل مارد شيطان.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)** رواه مسلم وغيره.

وقد امتن الله تبارك وتعالى على عباده بقوله: **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)** فهذه نعمة من الله تفضل بها على خلقه بأن الإنسان إذا كان مريضا أو مسافراً فإنه يفطر و يقضيه في عدة أيام أخر، فيباح للمسافر الفطر، وهو أفضل من الصوم أخذا برخصة الله عز وجل وإن صام فلا بأس وأجزأه ذلك، وكذلك المريض والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أفطرتا وقضتا، وعلى ولديهما تقضيان وتطعمان عن كل يوم مسكينا، فإذا كان المكلف صحيحا مقيما فإنه يلزمه الصوم حتما، وعليه الوعيد الشديد إن أفطر من غير عذر فلله الحمد على ذلك وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الباب الرابع

في فضل صيام شهر رمضان وقيامه مع بيان أحكام مهمة قد تخفى على بعض الناس (*)

ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يبشر أصحابه بمجيىء شهر رمضان ويخبرهم عليه الصلاة والسلام أنه شهر تفتح فيه أبواب الرحمة وأبواب الجنة وتغلق فيه أبواب جهنم وتغل فيه الشياطين و يقول صلى الله عليه وسلم: «**إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وغلقت أبواب جهنم فلم يفتح منها باب وصفدت الشياطين و ينادي مناد يا باغي الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة**»(١).

و يقول عليه الصلاة والسلام: «**جاءكم شهر رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا و يستجيب الدعاء ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله**»(٢).

و يقول عليه الصلاة والسلام: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٣).

و يقول عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»(٤) والأحاديث في فضل صيام رمضان وقيامه وفضل الصوم

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث غريب وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي ورواه النسائي والحاكم بنحو هذا اللفظ وقال صحيح على شرطهما (الترهيب والترغيب جـ ٢ ص ٢٢٠).

(٢) رواه الطبراني ورواته ثقات (المصدر السابق ص٢٢٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(*) للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

كثيرة فينبغي للمؤمن أن ينتهز هذه الفرصة وهي ما من الله به عليه من إدراك شهر رمضان فيسارع إلى الطاعات ويحذر السيئات ويجتهد في أداء ما افترض الله عليه ولا سيما الصلوات الخمس فانها عمود الإسلام وهي أعظم الفرائض بعد الشهادتين فالواجب على كل مسلم ومسلمة المحافظة عليها وأداؤها في أوقاتها بخشوع وطمأنينة، ومن أهم واجباتها في حق الرجال أداؤها في الجماعة في بيوت الله التي أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه كما قال الله عز وجل: **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)**(٥) وقال تعالى: **«حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين)**(٦) وقال عز وجل: **(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون»** إلى أن قال عز وجل: **«والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)** سورة المؤمنون آية ١ ــ ١١.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم **«العهد الذين بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»** (٧)وأهم الفرائض بعد الصلاة أداء الزكاة كما قال عز وجل: **«وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»** (٨) وقال تعالى: **«وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون»**(٩). **وقد دل كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم على أن من لم يؤد زكاة ماله يعذب به يوم القيامة،وأهم الأمور بعد الصلاة والزكاة صيام رمضان وهو أحد أركان الإسلام الخمسة المذكورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم. (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت)**(١٠) ويجب على المسلم أن يصون صيامه وقيامه عما حرم الله عليه من الاقوال والأعمال لأن المقصود بالصيام هو طاعة الله

(٥) سورة البقرة آية ٤٣.

(٦) سورة البقرة آية ٢٣٨.

(٧) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (رياض الصالحين ص ٤٩٢).

(٨)سورة البينة آية ٥.

(٩) سورة النور آية ٥٦.

[١٠ ــ ١١]متفق عليهما

سبحانه وتعظيم حرماته وجهاد النفس على مخالفة هواها في طاعة مولاها وتعو يدها على الصبر عما حرم الله وليس المقصود مجرد ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات ولهذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال **(الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم)**(١١) وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن أن يدع طعامه وشرابه)** (١٢).

فعلم بهذه النصوص وغيرها أن الواجب على الصائم الحذر من كل ما حرم الله عليه والمحافظة على كل ما أوجب عليه و بذلك يرجى له المغفرة والعتق من النار وقبول الصيام والقيام.

---

(١١) متفق عليه

(١٢) رواه البخاري

أمور قد تخفى على بعض الناس

وهناك أمور قد تخفى على بعض الناس منها أن الواجب على المسلم أن يصوم إيمانا واحتسابا لا رياء ولا سمعة ولا تقليداً للناس أو متابعة لأهله أو أهل بلده بل الواجب عليه أن يكون الحامل له على الصوم هو إيمانه بأن الله قد فرض عليه ذلك واحتسابه الأجر عند ربه في ذلك.

وهكذا قيام رمضان يجب أن يفعله المسلم إيمانا واحتسابا لا لسبب آخر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **(من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)**(١٣).

ومن **الأمور التي قد** يخفى حكمها على بعض الناس ما قد يعرض للصائم من جراح أو رعاف أوقيء أو ذهاب الماء أو البنزين إلى حلقه بغير اختياره فكل هذه الأمور لا تفسد الصوم ولكن من تعمد القيىء فسد صومه لقول النبي صلى الله عليه وسلم **«من ذرعه القيىء فلا قضاء عليه ومن استقاء فعليه القضاء»**(١٤). ومن ذلك ما قد يعرض للصائم من تأخير غسل الجنابة إلى طلوع الفجر وما يعرض لبعض النساء من تأخير غسل الحيض أو النفاس إلى طلوع الفجر إذا رأت الطهر قبل الفجر فإنه يلزمها الصوم ولا مانع من تأخيرها الغسل إلى ما بعد طلوع الفجر ولكن ليس لها تأخيره إلى طلوع الشمس بل يجب عليها أن تغتسل وتصلي الفجر قبل طلوع الشمس وهكذا الجنب ليس له تأخير الغسل إلى ما بعد طلوع الشمس بل يجب عليه أن يغتسل و يصلى الفجر قبل طلوع الشمس ويجب على الرجل المبادرة بذلك حتى يدرك صلاة الفجر مع الجماعة.

ومن الأمور التي لا تفسد الصوم تحليل الدم وضرب الإبر غير التي يقصد بها التغذية لكن تأخير ذلك إلى الليل أولى وأحوط إذا تيسر ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١٣) متفق عليه.

(١٤) رواه الخمسة وأعله أحمد وقواه الدارقطني (بلوغ المرام ص ١٥٦).

(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)(١٥) وقوله عليه الصلاة والسلام **(من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)**(١٦).

ومن الأمور التي قد يخفى حكمها على بعض الناس عدم الاطمئنان في الصلاة سواء كانت فريضة أو نافلة وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الطمأنينة ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونه وهي الركود في الصلاة والخشوع فيها وعدم العجلة حتى يرجع كل فقار إلى مكانه، وكثير من الناس يصلي في رمضان صلاة التراويح صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها بل ينقرها نقراً وهذه الصلاة على هذا الوجه باطلة وصاحبها آثم غير مأجور.

ومن الأمور التي قد يخفى حكمها على بعض الناس ظن بعضهم أن التراويح لا يجوز نقصها عن عشرين ركعة وظن بعضهم أنه لا يجوز أن يزاد فيها على إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة وهذا كله ظن في غير محله بل هو خطأ مخالف للأدلة.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن صلاة الليل موسع فيها فليس فيها حد محدود لا تجوز مخالفته بل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة (١٧) وربما صلى ثلاث عشرة وربما صلى أقل من ذلك في رمضان وفي غيره، ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل قال **«مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر ما قد صلى»** متفق على صحته.

ولم يحدد ركعات معينة لا في رمضان ولا في غيره ولهذا صلى الصحابة رضي الله عنهم في عهد عمر رضي الله عنه في بعض الأحيان ثلاثا وعشرين ركعة وفي بعضها احدى عشرة ركعة كل ذلك ثبت عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في عهده (١٨).

---

(١٥) رواه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح (الأربعون النووية) حديث رقم (١١)

(١٦)و(١٧) متفق عليه.

(١٨) رواه مالك في الموطأ جـ١ ص ١٣٨.

وكان بعض السلف يصلي في رمضان ستا وثلاثين ركعة و يوتر بثلاث و بعضهم يصلي إحدى وأربعين ركعة، ذكر ذلك عنهم شيخ الإسلام بن تيمية ــ رحمه الله ــ وغيره من أهل العلم كما ذكر ــ رحمه الله ــ أن الأمر في ذلك واسع، وذكر أيضا أن الأفضل لمن أطال القراءة والركوع والسجود أن يقلل العدد ومن خفف القراءة والركوع والسجود زاد في العدد، هذا معنى كلامه رحمه الله ومن تأمل سنته صلى الله عليه وسلم علم أن الأفضل في هذا كله هو صلاة احدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة في رمضان وغيره لكون ذلك هو الموافق لفعل النبي صلى الله عليه وسلم في غالب أحواله ولأنه أرفق بالمصلين وأقرب الى الخشوع والطمأنينة ومن زاد فلا حرج ولا كراهة كما سبق، والأفضل لمن صلى مع الإمام في قيام رمضان أن لا ينصرف إلا مع الإمام لقول النبي صلى الله عليه وسلم «**إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب الله له قيام ليلة**»([١٩]) و يشرع لجميع المسلمين الاجتهاد في أنواع العبادة في هذا الشهر الكريم من صلاة النافلة وقراءة القرآن بالتدبر والتعقل والاكثار من التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار والدعوات الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله عز وجل ومواساة الفقراء والمساكين والاجتهاد في بر الوالدين وصلة الرحم واكرام الجار وعيادة المريض وغير ذلك من أنواع الخير لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق «**ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله**» رواه الطبراني ورواته ثقات.

ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق «**يا باغي الخير أقبل و ياباغي الشر أقصر**» ولما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (**من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه**)([٢٠]) ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح

(١٩) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي (مشكاة المصابيح جـ ١ ص ٤٠٦ وهو الحديث رقم ١٢٩٨.

(٢٠) رواه ابن خزيمة في صحيحه جـ ٣ ص ١٩١ ــ ١٩٢.

(عمرة في رمضان تعدل حجة أو قال حجة معي)[21].

والأحاديث والآثار الدالة على شرعية المسابقة والمنافسة في أنواع الخير في هذا الشهر الكريم كثيرة. والله المسئول أن يوفقنا وسائر المسلمين لكل ما فيه رضاه وأن يتقبل صيامنا وقيامنا و يصلح أحوالنا و يعيذنا من مضلات الفتن كما نسأله سبحانه أن يصلح قادة المسلمين ويجمع كلمتهم على الحق أنه ولي ذلك والقادر عليه. والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

---

(٢١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما (الترغيب والترهيب جـ٢ ص ٣٠٥).

الباب الخامس

في الاجتهاد في رمضان (*)

الحمد لله الذي منّ على عباده بمواسم الخيرات، ليغفر لهم بذلك الذنوب و يكفر عنهم السيئات، وليضاعف لهم به الأجور و يرفع الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واسع العطايا وجزيل الهبات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المخلوقات، أتقى الناس لربه وأخشاهم له في جميع الحالات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما توالت الشهور والأوقات وسلّم تسليماً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واشكروه على ما أنعم به عليكم من مواسم الخير والبركات، وما حباكم به من الفضائل والكرامات واعرفوا قدر هذه المواسم بعمارتها بالطاعات وترك المحرمات.

عباد الله: إنكم في شهر مبارك كريم، وموسم رابح عظيم شهر تضاعف فيه الحسنات وتَعْظُم فيه السيئات، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، شهر أنزل الله فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان، فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيام نهاره فريضة وقيام ليله تطوعاً من فَطّر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا له من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء، أعطيت فيه هذه الأمة خمس خصال لم تعطهن أمة من الأمم قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، و يزين الله كل يوم جنته فيقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى و يصيروا إليك، وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره و يغفر لهم في آخر ليلة منه. إنه شهر رمضان من صامه إيمانا واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، من أتى فيه بعمرة كان في الأجر كمن حج. فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق أبواب النيران.

(*) من خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين ص ٤٥٧.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: **(كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به والصوم جُنة «يعني وقاية من الإثم والنار» فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه)** أما فرحه عند فطره فيفرح بنعمتين نعمة الله عليه بالصيام ونعمته عليه بإباحة الأكل والشراب والنكاح، وأما فرحه عند لقاء ربه فيفرح بما يجده من النعيم المقيم في دار السلام .

وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إن في الجنة باباً يقال له الريّان يدخل منه الصائمون لايدخله غيرهم فإذا دخلوا أغلق ولم يفتح لغيرهم).**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد دعوتهم: **(الصائم حتى يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين).** رواه أحمد والترمذي وحسنه.

عباد الله اغتنموا شهر رمضان بكثرة العبادة والصلاة والقراءة والإحسان إلى الخلق بالمال والبدن والعفو عنهم واستكثروا فيه من أربع خصال اثنتان ترضون بهما ربكم واثنتان لا غنى لكم عنهما فأما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار وأما اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتستعيذون به من النار).

عباد الله احفظوا صيامكم عن النواقص والنواقض احفظوه عن اللغو والرفث وقول الزور وهو كل قول محرم، وعمل الزور وهو كل عمل محرم، فمن لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، ومن لم يحفظ صيامه فرب صائم ليس له إلا الجوع والظمأ. اجتنبوا الكذب والفحش والغش والخيانة اجتنبوا الغيبة والنميمة، اجتنبوا الأغاني المحرَّمة واللهو المحرم، فعلاً وسماعاً فإن كل هذه من

منقصات الصيام، قوموا بما أوجب الله علكيم من الصلاة في أوقاتها وأدائها مع الجماعة، قوموا بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الحكمة من الصيام التقوى **(يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)**(١).

عباد الله قوموا شهر رمضان فإن من قامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. واعلموا أن صلاة التراويح هي قيام رمضان ولكن سميت تراويح لأنهم كلما صلوا أربع ركعات استراحوا قليلاً، صلوا هذه التراويح بطمأنينة، بخشوع وحضور قلب فإنها صلاة، لا مجرد حركات، والمقصود منها التعبد لا سرد ركعات، وإن كثيراً من الناس يتهاون بهذه التراويح من الأئمة وغير الأئمة أما الأئمة فكثير منهم يسرع بها إسراعاً مخلا بكثير من السنن بل ربما يخل بالأركان وأما غير الأئمة فيفرطون فيها بالترك وعدم الصبر مع الإمام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)** فقوموا مع الإمام حتى ينصرف من الوتر وإذا قمتم من آخر الليل واحببتم الصلاة فصلوا ركعتين ركعتين بدون وتر لأن الوتر لا يعاد مرة ثانية.

واعلموا أن افضل عدد تصلى به التراويح ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة (رواه مسلم) وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أبي بن كعب وتميما الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة (رواه مالك في الموطأ عن محمد بن يوسف وهو ثقة ثبت عن السائب بن يزيد وهو صحابي) فهذا العدد جاءت به سنة النبي صلى الله عليه وسلم واتبعه فيها عمر ومع ذلك لو صلاها الإنسان ثلاثا وعشرين أو تسعاً وثلاثين كما كان الناس عليه على عهد عمر بن عبد العزيز أو أقل من هذا فلا

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣.

ينكر عليه لأنه روي عن السلف في ذلك اختلاف، ولكن الذي ينكر على بعض الناس هو الإسراع المفرط الذي تذهب به الطمأنينة وتفوت به مكملات الصلاة وربما واجباتها.

واجتهدوا أيها المسلمون في قراءة القرآن فإنه كلام ربكم فلكم الشرف في تلاوته والأجر ولكم بالعمل به الحياة الطيبة وطيب الذكر ولكم بكل حرف منه عشر حسنات وإذا مررتم بآية سجدة فاسجدوا في أية ساعة من ليل أو نهار كبروا عند السجود وقولوا في السجود سبحان ربي الأعلى وادعوا وإذا سجدتم للتلاوة في الصلاة فكبروا عند السجود وعند الرفع منه. وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فصـــل
في المســـــابقـــة إلى الخيرات

قـال في اللـطـائف: لما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله عز وجل: «**فاستبقوا الخيـرات**»(١) وقـولـه: «**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض**»(٢) فـهموا أن المراد من ذلك: أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لـغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية. فكان أحدهم إذا رأى من يـعـمـل عملاً يعجز عنه خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبـقـه، فكان تنافسهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها كما قال تعالى: «**وفي ذلك فـليـتـنـافس المتنافسون**»(٣) ثم جاء بعدهم قوم فعكسوا الأمر فصار تنافسهم في الدنيا الدنية وحظوظها الفانية و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد (٤).

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) سورة الحديد آية ٢١.

(٣) سورة المطففين آية ٢٦.

(٤) انظر لطائف المعارف ص ٢٦٠.

الباب السادس

في فضل القائمين بالقرآن من هذه الأمة وما للصائم عند فطره

قال الله تعالى: «**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد. ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا، ولباسهم فيها حرير. وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور. الذي أحلنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب**»([1]).

يخبر تعالى عن حال القائمين بالكتاب العظيم، وهو القرآن الكريم. المصدق لما بين يديه من الكتاب، فقال: «**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**» وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط في بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، ومنهم مقتصد وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات و يفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات و بعض المباحات.

وقد رؤي في بعض الأحاديث «أن السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يحاسب حسابا يسيراً، والظالم لنفسه هو الذي يجيء بذنوب دون الشرك، فإذا نقوا من ذنوبهم دخلوا الجنة برحمة الله تعالى».

وقال محمد بن علي الباقر «**فمنهم ظالم لنفسه**» قال هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئاً.

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى «**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**» الآية، قالت للسائل: يا بُني، هؤلاء في الجنة.

---

(١) سورة فاطر آية ٣٢ ـــ ٣٥.

أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك» قال فجعلت نفسها رضي الله عنها معنا وهذا منها من باب الهضم والتواضع، وإلا فهي من أكبر السابقين بالخيرات. **لأن فضلها على** النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد)** قال الراوي: سمعت عبد الله يقول عند فطره [اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي ذنوبي» رواه البيقهي.

ما للصائم عند فطره

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)** رواه أحمد وغيره.(١)

وقال صلى الله عليه وسلم: **(للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه)**(٢) أما فرحة الصائم عند فطره فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها: من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا منعت من ذلك في وقت من الأوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصا عند اشتداد الحاجة إليه فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً، فان كان ذلك محبوبا لله كان محبوبا شرعاً، والصائم عند فطره كذلك فكما أن الله تعالى حرم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره فأحب عباده إليه أعجلهم فطراً، والله وملائكته يصلون على المتسحرين، فالصائم ترك شهواته بالنهار تقربا إلى الله وطاعة له، ويبادر إليها في الليل تقربا إلى الله وطاعة له، فما تركها إلا بأمر ربه ولا عاد إليها إلا بأمر ربه، فهو مطيع له في الحالين.

ولهذا نهي عن الوصال في الصيام، فإذا بادر الصائم الى الفطر تقربا إلى مولاه وأكل وشرب وحمد الله فإنه يرجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان، وفي الحديث «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها**»(٣) وربما استجيب دعاؤه عند ذلك كما تقدم، وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابا على ذلك كما أنه إذا نوى بنومه في الليل والنهار التقوي على العمل كان نومه عبادة.

ورد في حديث مرفوع **(نوم الصائم عبادة)** قالت حفصة بنت سيرين: قال أبو

(١) والترمذي وحسنه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما (الترغيب والترهيب ٢/٢١٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

العالية: [الصائم في عبادة ما لم يغتب أحداً، وإن كان نائماً على فراشه]. فكانت حفصة تقول: [يا حبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي] أخرجه عبد الرزاق، فالصائم في ليله ونهاره في عبادة، و يستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره.

فهذا معنى فرح الصائم عند فطره، و يدخل هذا الفرح في قوله تعالى «**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**»(١).

ولكن شرط ذلك أن يكون فطره على حلال، فإن كان فطره على حرام كان ممن صام عما أحل الله وأفطر على ما حرم الله، ولم يستجب له دعاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يقول: يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام (**فأنى يستجاب لذلك**»(٢) فهذا فرح الصائم عند فطره.

وأما فرحه عند لقاء ربه فهو فرحه بما يجده عند الله من ثواب الصيام مذخوراً له فيجده أحوج ما كان إليه فإن الله لا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً، وقال تعالى: «**وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا**»سورة المزمل آية ٢٠ قال سفيان بن عيينه «إن ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء في المظالم، بل يدّخِره الله عنده للصائم حتى يدخله به الجنة» وعن عيسى عليه السلام قال: (**إن هذا الليل والنهار خزانتان، فانظروا ماذا تضعون فيهما**) فالأ يام والليالي خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها، فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة.(٣) و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) سورة يونس آية ٥٨.

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٦٥ ــ ١٦٦.

فصـــل

في الحث على التأدب مع القرآن وآداب القراءة

قـال اللـه تعالى: «**ليسوا سوآءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليـل وهـم يـسجدون**»(١) يقول تعالى: لا يستوي هؤلاء ومن كان قبلهم في الفضل، وقـال عـز وجـل: «**كـتـاب أنـزلـنـاه إلـيـك مـبـارك لـيـدبـروا آيـاتـه ولـيتذكر أولوا الألباب**»(٢) أى ذو و العقول.

قـال الحـسـن الـبـصـري: [والله مـا تـدبـره بحفظ حـروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن لا يكون قارئاً حتى يكون عاملاً].

وكـان رضي الله عـنـه يـقـول: [إن مـن شر الناس أقواماً قرأوا هذا القرآن لا يعملون بسنته، ولا يتبعون لطريقته أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون.

اعـلـم أن تـلاوة الـقـرآن لهـا فـضـل عظيم والمطلوب القرءاة بالتدبر وللقراءة آداب ومقاصد.

فـأول مـا يـؤمـر به: الإخلاص في قراءته وأن يريد بها وجه الله سبحانه ولايقصد بها تـوصلا إلى شيء سوى ذلك، وأن يتأدب مع القرآن، بأن يقرأ طاهراً، مستقبل القبلة. ولا بـأس بقراءة من عليه حدث أصغر و يستاك إذا أراد القراءة بالسواك و ينظف فمه وتكره قـرآة نـجـس الـفم، و يستحضر في ذهنه أنه يناجي الله سبحانه وتعالى بكلامه فيقرأ على حـال مـن يـرى اللـه فـإنـه إن لـم يـره فـإن اللـه تـعالى يراه ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. قال الله تعالى: «**فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**»(٣) فـإن إبـلـيـس اللعين إذا أراد الـعـبـد قـراءة الـقـرآن أجلب عليه بخيله ورجله ليشغله عن المـقـصـود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد به المتكلم ولهذا يغلّط القارىء تارة، و ينسيه القراءة و يشوشها، أو يشوش عليه فهمه وقلبه.

(١) سورة آل عمران آية ١١٣.

(٢) سورة المؤمن آية ٢٩.

(٣) سورة النحل آية ٩٨.

فهذه عادة الشيطان الخبيث أنه يحرص على الإنسان عندما يهم بالخير ليصده عنه فإذا قال العبد: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من قلب حاضر فقد دخل على مولاه ولاذ بجنابه واعتصم بالله وامتنع، فعند ذلك يولى الشيطان هارباً حقيراً ذليلاً مدحوراً.

واعلم أن ملائكة الرحمن تدنو من قارىء القرآن وتستمع لقراءته، ويجهر بالترتيل إن كان ليس يتأذى بجهره أحد و يبسمل في أول كل سورة إن شاء سراً وإن شاء جهراً، ثم يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب و به تنشرح الصدور وتستنير القلوب ودلائله أكثر من أن تحصر و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب السابع

في الصلاة والمحافظة عليها(١)

الحمد لله الذي جعل الصلاة صلة بين العبد وربه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله أصحابه وأتباعه الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فيا عباد الله أوصيكم بتقوى الله والمحافظة على أداء الصلاة في أوقاتها وأدائها بتمامها فهي ركن الدين الركين ومن تركها فهو ليس من المسلمين قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين وهو أصدق القائلين «**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**»البقرة آية (٢٣٨) وقال عز وجل.

«**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً**» النساء آية (١٠٣) وقال جل شأنه.

«**والذين هم على صلاتهم يحافظون، أولئك في جنات مكرمون**» المعارج آية (٣٤) و(٣٥) وقال جل ذكره.

«**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**» طه آية (١٣٢) وقال عز وجل «**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**» العنكبوت آية (٤٥) وقال تبارك وتعالى:

«**فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون**» الماعون آية (٤)و(٥) والآيات القرآنية كثيرة في ذكر الصلاة واليك ما ورد من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله تعالى قال: (**الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين**

---

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند ص ٣٥.

قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله) قال حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صلاة الرجل في جماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة) رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال من سره أن يلقى الله غداً مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فان الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة و يرفعه بها درجة ويحط عنه سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، الحديث رواه مسلم.

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله رواه مالك ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)** رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا من الدعاء رواه مسلم.

وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات)** رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)** رواه مالك والبخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من أكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا يقربن مسجدنا)** رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله أحسنوا صلاتكم وأتموا ركوعها وسجودها فإنه قد جاء في الحديث أن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة صعدت ولها نور فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت أبواب السماء لها وتشفع لصاحبها وتقول حفظك الله كما حفظتني وإذا أساء في صلاته فلم يتم ركوعها ولا سجودها ولا حدودها صعدت ولها ظلمة فتقول ضيعك الله كما ضيعتني فإذا انتهت إلى أبواب السماء غلقت دونها ثم لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب وجه صاحبها.

فرحم الله من أقبل على الصلاة خاشعاً ذليلا لله عز وجل خائفاً وجلاً مشفقاً راجياً وجعل أكثر همه في صلاته لربه ومناجاته إياه وانتصابه بين يديه قائماً وراكعاً وقاعداً وساجداً وفرّغ لذلك قلبه واجتهد في أداء فرائضه فإنه لا يدري هل يصلي صلاة بعد التي هو فيها أو يعاجل قبل مقامه بين يدي ربه عز وجل محروماً مشفقاً يرجوا قبولها ويخاف ردها إن قبلها سعد وإن ردها شقي.

وإن العجب كل العجب من طول غفلتك وطول سهوك ولهوك عن أمور الآخرة وأنت

تساق سوقا عنيفاً في كل يوم وليلة وفي كل ساعة وطرفة عين فتوقع أجلك يا أخي ولا تغفل عن الخطر العظيم الذي قد أضلك فإنك لابد ذائق الموت ولاقيه.

ولعله ينزل بساحتك في صباحك أو مسائك أيسر ما يكون عليك اقبالاً فكأنك قد خرجت من ملكك كله وسُلِبتَه فإما إلى الجنة وإما إلى النار.

فيا عباد الله اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح من حافظ على الصلوات الخمس في ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة، وأن الله سبحانه وتعالى فرض علينا الصلوات الخمس وأمرنا بادائها في أوقات معلومة و بكيفيات مخصوصة ونهانا عن تضييعها وتأخيرها عن أوقاتها أمرنا بذلك في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الرحيم محمد صلى الله عليه وسلم، وكلفنا بأن نقيمها كاملة بخشوع وسكينة وطمأنية وعلمنا عليه الصلاة والسلام بقوله وفعله كيف نؤديها جماعة وأفرادا لتكون صلاة تامة كاملة صحيحة مقبولة فقال صلى الله عليه وسلم **(صلوا كما رأيتموني أصلي)** رواه البخاري.

واعلموا أن من أخر الصلاة عن وقتها بلا عذر يبيح له تأخيرها فهو لم يحافظ عليها كما أمر الله تعالى وكان من الساهين الذين توعدهم الله تعالى بقوله: **«فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون»**[1] سورة الماعون آية ٤ ـــ ٥.

والذي يصلي صلاة لا يتم ركوعها وسجودها ولا يطمئن فيها فهو لم يصل ولم يحافظ عليها وقد وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه سارق، وقال عليه الصلاة والسلام وقد رأى رجلاً وهو لا يتم ركوعها وسجودها لو مات هذا على حالته مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن سابق إمامه في صلاته بتكبير أو ركوع أو سجود أو سلام فهو لم يصل.

فالإمام لم يجعل إلا ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا وإذا كبر وركع فكبروا واركعوا فأوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عل المأموم متابعة إمامه والاقتداء

(١) انظر رسالة الصلاة للإمام أحمد.

به وأن لا يسبقه بشيء من الصلاة فمن لم يمتثل وسابق إمامه فلا صلاة له لأنه لا وحده صلى ولا بإمامه اقتدى.

فيا عباد الله أدوا الصلاة كما أمركم الله وكما شرع لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحافظوا على الصلوات في أوقاتها وأدوها بتمامها ولازموا الجمع والجماعة فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحضور إليها وأكد ذلك ولم يعذر حتى الأعمى الذي ليس له قائد بقوله حينما استأذنه في التخلف عن حضور الجماعة قال له هل تسمع النداء قال نعم قال عليه الصلاةو السلام أجب لا أجد لك رخصة.

إن الناس في هذا الزمان أكثرهم في نقص عظيم شديد من دينهم عامة وفي صلاتهم خاصة وقد ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **(قال العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)** وقال عليه الصلاة والسلام **(الصلاة نور من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي ابن خلف)** وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رؤوس الكفر وفيه نكتة بديعة وهوان تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله أو ملكه أو رياسته أو تجارته فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن شغلته عنها رياسته فهو مع هامان ومن شغلته عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف (١).

فرض الله تعالى علينا الصلوات الخمس وأوجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة في بيوت الله وأكدها فالاجتماع لواجب كهذا واحد والاتجاه واحد والمتجه إليه المعبود واحد لابد أن تتحد فيه القلوب وتتضافر وتتعاون على الخير وتكون الأمة بسبب ذلك قوية متماسكة يشد بعضها بعضا يسرون جميعا بسرور أحدهم و يستاءون مما يسوء البعض منهم فمع ما في أداء هذا الركن من الدين من أجر وسعادة يحصل الخير وتكون القوة إذاً فأداؤها جماعة للقادر على ذلك أمر لابد منه.

---

(١) المصدر السابق وكتاب الكبائر للذهبي ص ٢٠.

قد يقول الواحد منا ما دمت قد صليت وأديت الفريضة فلا علي أن أحضر الجماعة وأوديها معهم قد يقول ذلك ولكنه نسي ما يحصل له من الأجر وما يجنيه من الفوائد والخيرات من الاجتماع مع إخوانه في بيت الله يؤدون العبادة لله متجهين إليه منتظمين على أحسن هيئة وأشرفها فالمتخلف عن هذا الاجتماع قصَّر في أداء ما فرض الله عليه ولم يؤدها كاملة فالأجر ناقص والامتثال غير تام وتأخره عن الجماعة يجعله يتأخر عن أداء الصلاة في وقتها و يدخل وقت الثانية وهو لم يؤد الأ ولى فلو حافظ على الجماعة لما أخرها عن وقتها وجاء في الحديث أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة الصلاة فإن تقبلت تقبل منه سائر عمله وإن ردت صلا ته رد سائر عمله وإن أول فريضة فرضت في الإسلام الصلاة وآخر ما يفقد من دينكم الصلاة جعلني الله وإياكم ممن يحافظون على الصلاة في أوقاتها و يؤدونها بتمامها وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فصـــل

في وجوب الطمأنينة في صلاة التراويح وغيرها من الصلوات (*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد اعلموا وفقني الله وإياكم أن التراويح من أعلام الدين الظاهرة وأنها سنة مؤكدة أجمع المسلمون عليها وفعل الصحابة لها مشهور، تلقته الأمة عنهم خلفاً بعد سلف وأول من جمعهم على هذه الكيفية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روى مالك رحمه الله عن يزيد بن رومان قال: كان الناس يقومون في زمن عمر رضي الله عنه في رمضان بثلاث وعشرين ركعة (١) وهذا في مضنة الشهرة بحضرة من الصحابة، فكان اجماعاً، مع أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه ليالي ثم تركها خشية أن تفرض، كما في المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، ولم ينكرها إلا أهل البدع من الرافضة وغيرهم، ولهذا يذكرها أهل السنة والجماعة في عقائدهم، إذا تقرر هذا فغير خاف ما وردت به السنة من فضل قيام رمضان والترغيب فيه، وما يترتب على ذلك من الأجر والثواب ولكن ينبغي أن يعلم أن الصلاة والقيام بل وسائر الأعمال حقيقة هي التي تقع على الوجه الشرعي الذي أمر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وما سوى ذلك فإن العبد لا يثاب عليه بل قد يعاقب، وبعض الإخوان وفقنا الله وإياهم للصواب لا يطمئن في هذه العبادة ويسرع فيها سرعة تخل بالمقصود. وهذا أمر لا يجوز، لأن العبد يطلب ثواب الله في هذه العبادة، والله تبارك وتعالى لا يتقرب إليه إلا بما يحب ويرضى، وقد قال عز وجل: **«وأقيموا الصلاة»** في غير ما آية وقال: **«الذين يقيمون الصلاة»** وقال: **«وأقم الصلاة»** وقال: **«والمقيمين الصلاة»** وقال الخليل عليه السلام **«رب اجعلني مقيم الصلاة»** والآيات في هذا كثيرة، ولا تكاد تجد ذكر الصلاة في موضع من التنزيل إلا مقروناً بإقامتها، وإقامتها هو الإتيان بها قائمة تامة، القيام، والركوع، والسجود،

(١) وثبت أنه صلى الله عليه وسلم ما زاد في رمضان ولا غيره عن إحدى عشرة ركعة وليس فيها حد محدود ولكن الأفضل كفعله صلى الله عليه وسلم.

(*) للشيخ صالح بن أحمد الخريصي.

والإذكار، وهذا لايحصل مع هذه العجلة، وقد علّق الله تبارك وتعالى الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، و يستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر وكلما زادت العجلة قل خشوع المصلي، حتى تصير هذه العبادة بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع ولا إقبال عليها، أفلا يتصور صاحب هذه الصلاة أنها معروضة على الله عز وجل، فلا يأمن أن تلف كما يلف الثوب الخلق و يضرب بها وجهه، وربما ظن بعض الناس أن التراو يح تطوع ولا يلزم اتمام الركوع والسجود والاعتدالين فيها، وهذا غلط ممن ظنه كما نبه عليه الإمام أحمد رحمه الله في الرسالة، لأنه لما دخل في هذه العبادة وجب عليه اتمامها، وإكمالها، وإحكامها، وقد نفى صلى الله عليه وسلم اسم الصلاة وحقيقتها عن المسيء في صلاته، حيث كانت خالية من الطمأنينة فقال ارجع فصل إنك لم تصل، وقد صلى صلاة ذات قيام وركوع وسجود واعتدالين ولكن لما أخل بالطمأنينة خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فإنك لم تصل، فاحذر أيها المصلي كصلاة المسيء أن تكون كذلك، وقد سئل الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمه الله عن العجلة في صلاة التراو يح، فأجاب رحمه الله، قولك إن الإمام إذا استعجل صلى معه أكثر الناس، وإذا طوّل لم يصل معه إلا القليل، فإن الشيطان له غرض ويحرص على ترك العمل، فإن عجز عن ذلك سعى فيما يبطل العمل وكثير من الأئمة في البلدان يفعل في التراو يح فعل أهل الجاهلية و يصلون صلاة ما يعقلونها ولا يطمئنون في الركوع والسجود، والطمأنينة ركن لا تصح الصلاة إلا بها، والمطلوب في الصلاة حضور القلب بين يدي الله عز وجل واتعاظه بكلام الله إذا تلي عليه إلى آخر كلامه رحمه الله[1] وكلام الشيخ هذا هو الواقع فيه كثير من الأئمة عصمنا الله وإياهم. فيا أيها الإخوان انتبهوا لما أشرت إليه في هذه الكلمة ولا يكن حظي القول وحظكم الاستماع فقط دون العمل واعلموا أن التراو يح سميت بذلك لأن السلف كانوا يتروحون بعد كل أربع ركعات أي يستريحون من طول القيام وأنهم كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام وهذا لا مطمع فيه ولكن الذي ينبغي للعاقل اللبيب الناصح لنفسه الذي يريد نجاتها غدا أن يتقي الله في أموره عامة وفي هذه العبادة خاصة فرضها

(١) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٨٦/٤.

ونفلها التي أصبحت مضماراً لبعض الناس يحرص كل الحرص على أن يسبق غيره في الخروج وليس السابق في الحقيقة من خرج قبل الناس إنما السابق من قام بما أُمر به وحصلت له مغفرة ربه كما قال تعالى: «**والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم**» وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند الانصراف من عرفة [ليس السابق من سبق به بعيره إنما السابق من غفر له] فاتقوا الله عباد الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، هذا وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يهدينا واخواننا صراطه المستقيم إنه جواد كريم رؤوف رحيم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباب الثامن
في فضائل شهر رمضان (*)

الحمد لله الذي خص شهر رمضان بالفضل والإحسان. وجعله موسماً لنيل العفو والغفران. أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان أحمده على نعمه التي لا تزال تتوالى على العباد في كل زمان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجب على العباد صوم شهر رمضان. ليضاعف لهم الأجور و يغفر لهم الذنوب والعصيان وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كان يخص شهر رمضان بمزيد طاعات من صلاة وتلاوة قرآن وصدقة وإحسان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تعاقبت الشهور وتوالت الأزمان وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد: فيا عباد الله اتقوا الله واسمعوا ما ورد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في بيان فضائل شهر رمضان: عن سلمان رضى الله عنه قال (خطبنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في آخر يوم من شعبان فقال: **(يا أيها الناس قد أظلكم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً. من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة. وشهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ومن فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً)** قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن سقى صائما سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار (حتى يدخل الجنة) وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة. وآخره عتق من النار. فاستكثروا**

(*) من خطب الشيخ صالح الفوزان ٨٣/٢.

فيه من أربع خصال. خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما. أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار) رواه ابن حزيمة والبيهقي وغيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أظلكم شهركم هذا بمحلوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مر بالمسلمين شهر خير لهم منه ولا مر بالمنافقين شهر شر لهم منه)**(١).

أيها المسلمون: اشكروا الله إذ بلغكم رمضان وسلوه الإعانة على فعل الخيرات وتقديم الطاعات وأن يتقبل منكم صيامكم وقيامكم و يغفر لكم سيئاتكم واعمروا أوقاته بالأعمال الصالحة: فإنها هي التجارة الرابحة فإن ربكم قد أتاح لكم الفرصة وأعطاكم المهلة ومكنكم من العمل الذي ينفعكم فلا تُضَيِّعُوا هذا الشهر باللهو والغفلة والإقبال على طلب الدنيا.

فإن بعض الناس لا يعرف من شهر رمضان إلا أنه وقت للتفنن في المأكولات والمشروبات فيشغلون ليله بالأكل والشرب والسهر على القيل والقال والمزاح والضحك و يضيعون نهاره بالنوم والكسل. فلم يزدهم رمضان إلا رغبة في الأكل وحرصاً على النوم، وصنف آخر من الناس ينشغلون في رمضان بالبيع والشراء وطلب الدنيا لأن حركة الأسواق تزيد في رمضان فينتهزونه فرصة لطلب الدنيا ــ إننا لا نطلب من هؤلاء أن يغلقوا دكاكينهم و يعطلوا الأسباب ولكن نريد منهم أن لا يصرفوا كل الوقت لطلب الدنيا. وإنما يأخذون من ذلك بقدر لا يطغى على طلب الآخرة و يفوت مواسم العبادة. فقد كان السلف يتفرغون في رمضان حتى من طلب العلم. و يقبلون على الصلاة والتلاوة والذكر.

أيها المسلمون: حافظوا على صيامكم مما يخل به أو يفسده من الأعمال السيئة والأقوال

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه وغيره.

الآثمة فاحفظوا أسماعكم عن سماع ما حرم الله من الأغاني وقول الزور والغيبة والنميمة. واحفظوا أبصاركم عن رؤية ما حرم الله عليكم من المناظر الفاتنة. فإن النظر سهم مسموم من سهام إبليس واحفظوا ألسنتكم من قول الزور وشهادة الزور والغيبة والنميمة والشتم والسباب. فإن سابك أحد فلا ترد عليه بالمثل بل قل إني صائم. فليس الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب فقط بل هو إمساك كذلك عن كل ما حرم الله.

أيها المسلمون: عليكم بتلاوة القرآن العظيم في هذا الشهر العظيم اقتداء بنبيكم صلى الله عليه وسلم فقد كان يلقاه جبريل فيدارسه القرآن في شهر رمضان وكان السلف الصالح يكثرون من تلاوة القرآن في هذا الشهر وأخبارهم في ذلك مشهورة.

ذلكم يا عباد الله لما لهذا الشهر من خاصية بالقرآن على غيره من الشهور قال تعالى: **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان»**[1] وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها)** [2] ولتكن تلاوتكم للقرآن بتدبر وخشوع وحضور قلب وترتيل لآياته وحسنوا أصواتكم بالتلفظ به ما استطعتم اقرأوه في المسجد والبيوت أكثروا من تلاوته وترديده فإنه لايخْلَقُ عن كثرة الرد ولا تفنى عجائبه. وألزموا أولادكم بتلاوته وتفقدوهم في ذلك وشجعوهم بالجوائز التي تشجعهم على تلاوته ولا تتركوهم يهيمون في الشوارع و يضيعون الأوقات في اللعب. فإنهم يشبون على ما عودتموهم فيا أيها المسلم يا من منّ الله عليك بحفظ كتابه العظيم اشكره على هذه النعمة العظيمة وداوم على تلاوته وتعاهده ولا سيما في هذا الشهر المبارك تلذذ بألفاظه وتفكر في معانيه فلا أحلى من كلام الله.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٥.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

أيـهـا المسـلـمـون: لا زمـوا صـلاة التراو يح ولا تفرطوا فيها فإن ثوابها عظيم. روى الإمـام أحمـد والترمذي وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من قام مع الإمام حتـى ينصرف كتب له قيام ليله)** وقال صلى الله عليه وسلم: **(من قام رمضان إيماناً واحـتـسـابا غفر له ما تقدم من ذنبه)** متفق عليه والتراو يح سنة مؤكدة وفعل الصحابة لها مشهور وتلقته الأمة بالقبول خلفاً بعد سلف. فاحرصوا عليها ولا تتكاسلوا عنها فإنكم بأشد الحاجة إليها لعل الله أن يكتبكم مع الصائمين القائمين...

أيـهـا المسـلـمـون: اسـتـقـبـلـوا شـهـركم بارك الله لكم فيه بالتوبة والفرح بإداركه واجتهدوا في استغلال أوقاته الشريفة بما ينفعكم **«يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بـقـلـب سـلـيـم»**(١) اجـعلوه منطلقاً لكم من أسر الشهوات والغفلة إلى نور الطاعة والتقوى لعله يكون منبهاً لكم على تفريطكم فيما مضى لتستدركوا ما تبقى من أعماركم فـإنـه لـيـس لـكـم مـن أعـمـاركم إلا ما عمرتموه بالطاعة وما ضيعتموه فإنه يكون حسرة عليكم.

أيـهـا المسـلـمـون: هـذا شهر البركات، هذا شهر الخيرات، هذا شهر الرحمة والمغفرة والـعتق من النيران ــ هذا شهر فيه ليلة خير من ألف شهر من قامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تـقـدم مـن ذنبه. فبين أيديكم شهر كريم وموسم عظيم .... قال الله تعالى **«يا أيها الـذيـن آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يـطـيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خير لكم إن كـنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والـفـرقـان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على مـا هـدا كـم ولـعـلـكم تشكرون. وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة**

(١) سورة الشعراء ٨٨ ــ ٨٩.

الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون(١) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة البقرة ١٨٣ ــ ١٨٦.

فصـــل

في المقصـــود من الصيـــام

قـال الله تـعـالى: «**يـا أيـهـا الـذيـن آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذيـن مـن قبلكم لعلكم تتقون**»(١) يقول تعالى مخاطباً للمؤمنين من هذه الأمة وآمراً لهـم بـالـصيـام. وهـو الإمـسـاك عن الطعام والشراب والوقاع، بنية خالصة لله عز وجل، فـقـال: «**يـا أيـهـا الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**» ومعنى كُتب: فُرض، فإن الله تـعـالى فرض صيام رمضان على أمة الإسلام فالصوم هو الإمساك عن أشياء مخصوصة بنية في زمن معين من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.(٢).

صـوم رمضان أحد أركان الإسلام وفروضه، وهو الركن الرابع فُرض في السنة الثانية من الهجرة. فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات.

ولـمـا كـان المـقـصـود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطمها عن المألوفات وتـعـديل قوتها الشهوانية لتستعد بطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها وقبول ما تزكوا به مما فيه حياتها الأ بدية و يكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها. و يذكرها الأكباد الجائعة من المساكين و يضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب وحبس قـوى الـنـفـس عـن استرسالها فيما يضرها في معاشها ومعادها، و يسكن كل عضو منها وكـل قـوة عـن جماحه، وتلجم بلجامه فهو لجام المتقين، وجُنَّة المجاهدين ورياضة الأ برار والمـقـر بين وهـو لـرب العالمين من بين سائر الأعمال: فإن الصائم إنما ترك شهوته وطعامه وشـرابـه مـن أجـل معبوده، فهو ترك محبو بات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته. وهـو سر بين الـعـبـد ور به. والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة. وأما كونه تـرك طـعـامـه وشـرابـه وشـهـواتـه من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر وذلك حقيقة الـصيام. وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة فالصوم يحفظ على

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢١٣/١.

القلب والجوارح صحتها. و يعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى.

والمقصود: أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة لهم وإحساناً إليهم، والصوم شاق على النفوس لأنها به تنفطم عن الشهوات. و يباعد بينها و بين الملذوذات فلأجل ذلك تأخر فرضة إلى وسط الإسلام لتنتقل النفوس إليه بالتدريج (١) و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد على آله وأصحابه أجمعين.

(١) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٨/٢ بتحقيق الأرنؤوط.

الباب التاسع

في خصائص شهر رمضان المبارك

الحمد لله ــ يخلق ما يشاء ويختار وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المختار ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار صلاةً وسلاما دائمين متعاقبين بتعاقب الليل والنهار، أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واشكروه إن الله سبحانه بعلمه المحيط بكل شيء و بحكمته لبالغة يختار ما يشاء من مخلوقاته فيفضل بعضها على بعض. و يفضل بعض البشر و بعض الأمكنة والأزمنة على بعض ومن ذلك تفضيله شهر رمضان على غيره من الشهور. قال تعالى:

«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان»

وقد فصل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ خصائص هذا الشهر في الحديث الذي رواه ابن خزيمة والبيهقي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في آخر يوم من شعبان فقال: **(أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك. شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر. جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة. وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق. ومن فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئا)** قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ **(يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن سقى صائما سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار حتى يدخل الجنة. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار. فاستكثروا فيه من أربع خصال. خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما.**

أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار).

أيها المسلمون: في هذا الحديث الشريف بيان خصائص هذا الشهر المبارك فقد وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه شهر عظيم مبارك وهذان الوصفان يظفيان عليه ميزة خاصة على غيره من الشهور فكل لحظة من هذا الشهر تتصف بالعظمة والبركة. بركة في الوقت، وبركة في العمل، وبركة في الجزاء وأخبر ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن فيه ليلة القدر وهي خير من ألف شهر ــ فمن مزايا هذا الشهر اشتماله على هذه الليلة العظيمة التي لا توجد في غيره تلكم الليلة التي وصفت في القرآن بأوصاف عظيمة. فهي الليلة التي أنزل فيها القرآن كما قال تعالى: «**إنا أنزلناه في ليلة القدر**»(١) وقد صح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن القرآن أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا وكان ذلك في ليلة القدر. وهي (**خير من ألف شهر**) أى العمل فيها خير من العمل في ألف شهر. وهي ليلة مباركة كما في قوله تعالى: «**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**»(٢) وهي ليلة تتنزل فيها الملائكة بالخيرات كما قال تعالى: «**تنزل الملائكة والروح فيها**»(٣) وهي الليلة التي يجري فيها التقدير السنوي كما قال تعالى: «**فيها يفرق كل أمر حكيم**»(٤) وهي ليلة سلام كلها كما قال تعالى: «**سلام هي حتى مطلع الفجر**»(٥) فهذه الليلة العظيمة بخيراتها وبركاتها هي من جملة خصائص شهر رمضان المبارك.

ومن خصائصه التي بينها ــ صلى الله عليه وسلم ــ في هذا الحديث افتراض صيام نهاره واستحباب قيام ليله فصيام نهاره أحد أكان الإسلام فامتاز على غيره باشتماله على أحد أركان الإسلام واشتمال ليله على صلاة التراويح التي هي من آكد السنن ولا تشرع في غيره من الشهور.

---

(١) (٣) (٥) سورة القدر آية ١ ــ ٥.

(٢) (٤) سورة الدخان آية ٣ ــ ٤.

ومن الخصائص التي بينها هذا الحديث لهذا الشهر المبارك كثرة مضاعفة الحسنات فيه فالسنن تكون بمنزلة الفرائض في الأجر والفريضة الواحدة فيه تعادل في الأجر سبعين فريضة في غيره ولم يرد مثل هذا التضعيف في غيره من الشهور.

ومن خصائصه: أنه شهر الصبر ــ أى حبس النفس عن شهواتها بالصيام وتحملها مشقة الطاعة والبعد عن مألوفها والصبر من أشق الطاعات على النفوس ولهذا صار ثوابه الجنة. وقال الله تعالى: «**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**»(١).

ومن خصائص هذا الشهر أنه شهر الجود ــ الجود من الباري جل وعلا على عباده بالمغفرة والاعتاق من النار والجود من العباد بعضهم على بعض بالمواساة واطعام الجائع وسقي الظمآن وتفطير الصائم والرفق بالمملوك.

ومن خصائصه: أنه شهر التراحم بين العباد ونزول الرحمة عليهم من الرحمن فالغني يرحم الفقير والقوي يرحم الضعيف والمالك يرحم المملوك والراحمون يرحمهم الرحمن.

ومن خصائص هذا الشهر تنوع الخيرات فيه فأوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار.

عباد الله: جدير بشهر هذه أوصافه وخصائصه أن يُفْرَحَ بقدومه. ولهذا كان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يدعو الله أن يبلغه رمضان فكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا دخل شهر رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان و بلغنا رمضان وكان السلف الصالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان وذلك لما يعلمونه فيه من الخيرات وما يعلمونه فيه من الطاعات (*).

اللهم بلغنا رمضان. وأعنا على الطاعة في رمضان وتقبل منا رمضان.

اللهم اجعلنا ممن صامه وقامه إيمانا واحتسابا فغر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) سورة الزمر آية ١٠.

(*) من خطب الدكتور صالح الفوزان ١/٧٩.

فصـــل
في ثـــواب صيام شهر رمضان

عـن سـهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن في الجنة باباً يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)** رواه البخاري ومسلم.

ولهـما أيـضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من قـام لـيـلـة الـقـدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحـتـسـابـاً غـفـر لـه مـا تقدم من ذنبه)** وفي رواية للنسائي: **(من صام رمضان إيمانا واحـتـسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر).**

.وعـن أبـي سـعـيـد الخدري رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(من صـام رمضان وعرف حدوده وتحفظ ما ينبغي له أن يتحفظ: كفر ما قبله)** رواه ابن حـبـان والبيهقي. وقوله في حديث أبي هريرة: **(إيماناً واحتساباً)** أي نية وعزيمة، وهو أن يـصـومـه على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه، غير كاره ولا مستثقل لصيامه، ولا مـسـتـطـيـل لأ يـامـه، لـكـن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب. فعليكم عباد الله بإخلاص الـصـيـام، والـقـيـام بـحـقـوق المـلـك العلام. وأديموا له الصيام والقيام. و بادروا أوقات الفضائل بالاغتنام واتبعوا هدي نبيكم عليه الصلاة والسلام.

فصـــل
في أسباب مضاعفة الأجر للأعمال

قال الله تعالى: **«كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية»**(١) **قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية في الصائمين. وذلك أنه إذا كان يوم القيامة وبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يعلمه إلا الله من العطش والجوع والحر قيل للصائمين ذلك.**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزى به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»** رواه البخاري ومسلم.

في هذا الحديث دليل على استثناء الصوم من سائر الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عز وجل أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى: «**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**» ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر) وفي هذا حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال: **(الصوم نصف الصبر)** أخرجه الترمذي.

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله وصبر عن محارم الله وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة في الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عما حرم الله على الصائم من الشهوات وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن وهذا الألم الناشيء من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه ولا يضيع عنه شيء بل يكتب له بكل خصلة عمل صالح. وفي حديث سلمان المرفوع المتقدم في

---
(١) الحاقة آية ٢٤.

فضل شهر رمضان **(وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة)** وفي الطبراني مرفوعاً «**الصيام لله لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل**».

واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب:

منها: شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم. ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**» وكذلك روي أن الصيام يضاعف بالحرم.

ومنها: شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة وفي حديث سلمان الفارسي المرفوع الذي أشرنا إليه في فضل شهر رمضان «**من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه**» وفي الترمذي عن أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل قال: **(صدقة في رمضان)** وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عمرة في رمضان تعدل بحجة ــ أو قال حجة معي».

فلما كان الصيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفاً على سائر الصيام لشرف زمانه. وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها(١).

و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٥٨ ــ ١٥٩.

الباب العاشر

في لوازم الصوم وفوائده (١)

الحمد لله الذي فرض صيام شهر رمضان وأجزل الأجر والثواب لمن صام رمضان ايماناً واحتساباً وأ شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه المبين «**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**» البقرة آية (١٨٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به والصيام جُنَّةٌ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه**» رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله اعلموا أن الله سبحانه وتعالى فرض الصيام على الأمة الإسلامية كما فرضه على الأمم قبلها من لدن آدم عليه السلام فالصيام عبادة قديمة لم يترك الله تعالى أمة من الأمم إلا فرضها عليهم ذلك لما للصوم من الأثر العظيم في تربية النفوس وتهذيبها وإيقافها عند حد الاعتدال فإنه ليس المقصود من الصيام مجرد الامتناع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات بل المقصود منه حبس النفس عن الاسترسال في الشهوات وفطامها عن ما تميل إليه من المأكولات والمألوفات واعدادها لتقوى الله تعالى وتهيئتها لتحمل مشاق التكاليف وترغيبها في الرحمة بالفقراء والعطف على المساكين.

---

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله السند ص ٥٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: **(إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلّقت أبواب النار وصفدت الشياطين)** رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله اعلموا أن الله سبحانه وتعالى من حكمته أن جعل الصوم أمراً موكولا إلى نفس الصائم وسراً بين العبد وربه لا يطلع عليه أحداً سواه ليعلم الناس كيف يراقبونه سبحانه في حركاتهم وسكناتهم وخلواتهم واجتماعاتهم فإن الإنسان إذا ترك ألذ الأشياء إليه وأحبها لديه مع قدرته عليها وتمكنه منها لمجرد الامتثال لأمر ربه والخضوع لإرشاد نبيه عليه الصلاة والسلام رسخت ملكة مراقبة الله تعالى في نفسه واشتد حياؤه من أن يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره، وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه ما يعد النفوس و يؤهلها للسعادة في الحياتين والفوز بالحسنيين.

فيا عباد الله اعلموا أنه من لوازم هذا الصوم الذي تتحقق به مراقبة الله تعالى أن يستعمل الصائم أعضاءه وجوارحه فيما خصصت له وخلقت من أجله فيمسك لسانه عن الكذب واللغو والهذيان واليمين الفاجرة والفحش والغيبة والنميمة والمراءاة والخصومة و يشعر قلبه الخوف من الحساب على كل كلمة تجري على لسانه متذكراً قول الله تعالى:

«ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» في آية (١٨) من سورة ق.

وقوله صلى الله عليه وسلم **(الصوم جنة من النار ما لم يخرقها بكذب أو غيبة)** وقوله صلى الله عليه وسلم **(إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ شتمه فليقل إني صائم) ويصون كذلك أذنه عن سماع ما يحرم التكلم به فإن كل ما يحرم قوله يحرم سماعه و يصون عينه عن النظر إلى كل ما يذم و يكره، و يشغل القلب عن ذكر الله تعالى فإن النظر يثير الشهوة للنفس وقد ينتهي بصاحبه إلى مطاوعة الهوى والوقوع في المعصية ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله عز**

وجل عوضه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه. رواه الطبراني والحاكم من حديث حذيفة

و يكف كذلك سائر الجوارح من اليد والرجل وغيرهما عن اقتراف الآثام وارتكاب الحرام فيكون بذلك قد حقق المقصود من الصيام الذي أشار الله سبحانه وتعالى اليه بقوله **«لعلكم تتقون»**.

أي تجعلون بينكم و بين المعاصي والمنكرات وقاية وحصناً بالصيام، ومن لوازم هذا الصوم أن لا يستكثر الصائم وقت الإفطار من ألوان الطعام وأصناف الشراب يملأ بها جوفه وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

فيا عباد الله اعلموا أن من فوائد الصوم صحة البدن ودفع الأمراض عن الإنسان فإن سببها في الغالب كثرة الأكل والشرب وحصول فضلة الأخلاط في المعدة وناهيك مما يترتب على المرضى من تشويش الفكر واشتغال القلب وتنغيص العيش ومقاساة الآلام الشديدة وعدم القدرة على أداء الفرائض وغير ذلك.

فيا عباد الله اعلموا أنه بالصوم تزكو النفوس وتصح الاجسام وتعتاد الصبر وتقوى على حفظ الأمانة وعدم الخيانة وتقوى على تحمل المشاق. بالصوم يعرف العبد نعم الله تعالى عليه فيعطف على الفقير فيبادر إلى سد حاجاته ومواساته وتخفيف آلام الفقر عنه.

فيا عباد الله صوموا رمضان مخلصين لله عز وجل وطهروا قلوبكم من دنس الحسد ودرن الأحقاد وعطروا ألسنتكم بتلاوة القرآن الكريم وترك الغيبة والنميمة والكلام فيما لا يغني ولا ينبغي وأشعروا قلوبكم الرأفة وعودوا نفوسكم الأمانة وحفظ العهد والوعد.

فيا عباد الله اعلموا أن الله عز وجل يخص ما شاء بما يشاء ورب عمل قليل خير من عمل كثير ولا شك أن العمل القليل قد يفْضُل الكثير باعتبار الزمان والمكان وكيفية الأداء كصلاة واحدة مثلا أديت بجماعة فإنها تفضل خمساً وعشرين مرة صلاة مثلها أديت على الانفراد ولا حجر على الله سبحانه وتعالى ولا يعلم ما عنده إلا هو جل شأنه

فقد جعل عبادة ليلة واحدة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كليلة القدر مثلا أكثر ثوابا من عبادة ألف شهر في شرائع الأمم الماضية وإن شاء الله تعالى اختار الساعات فاختار أوقات الصلاة واختار يوم الجمعة واختار الشهور فاختار شهر رمضان واختار الليالي فاختار ليلة القدر فهي أفضل ليلة في أفضل شهر وإنما فضَّل شهر رمضان على غيره لأنه أنزل فيه القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا وصار ظاهراً للملائكة ثم كان ينزل بعد ذلك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متفرقا على حسب مقتضيات الأحوال.

فيا عباد الله اعلموا أن الله تعالى فضل شهر رمضان بليلة القدر فهو أفضل شهور العام وأفضله عشره الأخيرة فيها ليلة مباركة **(فيها يفرق كل أمر حكيم امراً من عندنا إنا كنا مرسلين)** ليلة القدر هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم خيراً كثيراً ولا يحرم خيرها إلا محروم. جاء في الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار الأمم الماضية فعوضهم الله بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فاحيوا رحمكم الله هذه العشر المباركة بالقيام والذكر والصلاة والتسبيح واسألوا ربكم المغفرة والعتق من النار.

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)** رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله لا تكونوا كالذين نسوا الله فتركوا عبادته ولم يعملوا ما أمرهم به ولم يجتنبوا ما نهاهم عنه وأفرطوا في ارتكاب المنكرات واتباع الشهوات فأنساهم أن يسعوا لتخليص أنفسهم من العذاب أولئك هم الخاسرون الخارجون عن طاعة الله تعالى المطرودون من رحمته نسألك اللهم العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب الحادي عشر

ما جاء في العشر الأوسط من شهر رمضان وفضل الإنفاق والجود

قال الله تعالى: «**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم**»(١) هذا حث من الله تعالى لعباده على الإنفاق في سبيله وطرق الخيرات ليضاعف لهم الأجور.

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن الله يضاعف الحسنة ألفى ألف حسنة**) رواه ابن أبي حاتم وكان جود النبي صلى الله عليه وسلم يتضاعف في رمضان، وكان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وفي ابتغاء مرضاته فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، و يعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع وكان قد أهدي إليه شملة فلبسها وهو محتاج إليها فسأله إياها رجل فأعطاه إياها، فلامه الناس، وقالوا: كان محتاجا إليها وقد علمت أنه لا يرد سائلا، فقال: إنما سألتها لتكون كفني، فكانت كفنه. وكان قد أتاه مرة سبي فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤونة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال «**لا أعطيكِ وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وكان جوده يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور، كما أن جود ربه يتضاعف فيه أيضاً؟ فإن الله جبله على ما يحبه من الأخلاق الكريمة (٢).**

---

(١) سورة الحديد آية ١٠.

(٢) انظر لطائف المعارف ص ١٧٣ ــ ١٧٥.

فصلى الله وملائكته ورسله وأنبياؤه على هذا النبي الكريم، والرسول المصطفى بالفضل والتكريم.

وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: **«لما نزلت «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له»** قال أبو الدحداح الأنصاري يا رسول الله إن الله ليريد منا القرض؟ قال نعم يا أبا الدحداح، قال أرني يدك يا رسول الله، قال فناوله يده، قال فإني أقرضت ربي عز وجل حائطي قال وحائطه له فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها. قال: فجاء أبو الدحداح فناداها، يا أم الدحداح. قالت: لبيك، قال اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل، فقالت ربح بيعك يا أبا الدحداح، ونقلت منه متاعها وصبيانها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: رب نخلة مدلاة عروقها در و ياقوت لأ بي الدحداح في الجنة)([1]).

وعن أنس قال «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء. وكانت مستَقْبَلَ المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما نزلت **«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»** قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: **«لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»** وإن أحب أموالي إلى بيرحاء، وإنها صدقة أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(بخ بخ ذاك مال رابح)** متفق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبضة التمر ومثله مما ينتفع به المسكين ثلاثة الجنة: رب البيت الآمر به، والزوجة تصلحه، والخادم الذي يناول المسكين)** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الحمد لله الذي لم ينس خدمنا)** رواه الطبراني والحاكم عن أبي هريرة.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢٩٩/١.

وقال صلى الله عليه وسلم: **(اتقوا النار ولو بشق تمرة)**[1] والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأوسط من رمضان فاعتكف عاما حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين، وهي الليلة التي يخرج في صبيحتها من اعتكافه، قال من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها) فهذا يدل على أنه كان يعتكف العشر الأواسط من شهر رمضان لابتغاء ليلة القدر فيه، وهذا يدل على أن ذلك قبل أن يتبين له أنها في العشر الأواخر، ثم لما تبين له ذلك اعتكف العشر الأواخر.

وقال صلى الله عليه وسلم في فضل شهر رمضان **(وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار)** فالغالب على أوسطه المغفرة، فيغفر للصائمين فيه، وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغائر، فلا يمنعهم من المغفرة كما قال الله تعالى: **«وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم»** فينبغي للعبد أن يطلب أسباب المغفرة.

فيا إخواني: إنه قد مضى من شهركم عشره الأول وها أنتم في أوسطه فاحذروا من الزيغ والزلل، وتصدقوا يضاعف الله لكم العمل، و يقيكم هول الوقوف وما فيه من الخجل و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الباب الثاني عشر

في فضل قيام رمضان وتلاوة القرآن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم **(يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ثم يقول: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)** متفق عليه، ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم **(خرج ليلة فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، فتشهد ثم قال: أما بعد فإنه لم يخف عليَّ مكانكم، ولكني خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها).**

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)**(١) فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنهما.

قال عبد الرحمن بن عبدٍ القاري: [خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، و يصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون إليها يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله](٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

اعلم أن صلاة التراويح سنة مؤكدة في رمضان سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست محدثة لعمر، بل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ثم تركها خشية أن تفترض، وهي من أعلام الدين الظاهرة، سميت بذلك لأنهم كانوا يجلسون بعد كل أربع ركعات يستريحون. ذكر ذلك علماء المذهب وفعلها جماعة أفضل كما جعل عمر أبي بن كعب إماما، وكما جعل عليٌّ للرجال إماماً وللنساء إماماً فينبغي للإنسان أن يحافظ عليها.

فعن أبي ذر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع أهله وأصحابه وقال: **(إن من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) رواه أحمد وصححه الترمذي، ووقتها بعد صلاة العشاء الآخرة وسنتها، يبتدؤها أول ليلة من شهر رمضان ويقرأ في كل ليلة ما تيسر إلى أن يختم القرآن في بعض الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر اغتناما للقبول، فهذه عادة السلف رحمة الله تعالى عليهم، فمن أمكنه أن يقتدي بهم في ذلك فليشمر ولا يقصر، فإن الخير غنيمة «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)**(١) ثم إنه ينبغي للإمام أن يراعي صلاته وليحذر من التخفيف المفرط الذي يعتاده كثير من الجهلة في صلاتهم للتراويح، حتى ربما يقعون بسببه في الإخلال بشيء من الواجبات، مثل ترك الطمأنينة في الركوع والسجود، وترك قراءة الفاتحة على الوجه الذي لا بد منه بسبب العجلة، فيصير أحدهم عند الله لا هو صلى ففاز بالثواب ولا هو ترك فاعترف بتقصيره وسلم من الإعجاب، فاحذروا من ذلك وتنبهوا له يا معشر الإخوان، وإذا صليتم التراويح وغيرها من الصلوات فأتموا القيام والقراءة والركوع والسجود والأركان، ولازموا الخشوع والحضور والآداب ولا تجعلوا للشيطان عليكم سلطاناً. ذكر معنى ذلك في النصائح الدينية(٢) وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) سورة المزمل آية ٢٠.

(٢) انظر النصائح الدينية ص ٣٨.

فصـــل
في فضل تلاوة القرآن

عـن أبـي ذر رضي اللـه عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: **«عليك بتلاوة القـرآن، فإنــه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء»** رواه ابن حبان في حديث طويل(٢).

وعـن أبـي هـريـرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لا حسد إلا في اثـنـتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، فسمعه جـار لـه فـقـال: لـيتـنـي أوتـيـت مـثـل مـا أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل)** رواه البخاري.

وعـنـه أيـضـا: قـال قـال رسـول الله صلى اللـه عـليه وسلم: **(إذا قرأ ابن آدم السجدة فـسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويلي، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار)** رواه مسلم وابن ماجه.

وعـن ابـن مـسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من قرأ حـرفاً مـن كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألـف حـرف ولام حـرف، ومـيـم حـرف)** رواه الـترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب.

اعلم أن قراءة القرآن أشرف الأذكار، لأن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل اللـه على خـلـقـه. فـاللائق بالصائم أن يكون شعاره تلاوة القرآن. وقد كان السلف إذا صاموا جلسوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحداً.

وكـان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن: أنه كان يرتله ولا يَهُذُّهُ هَذاً ولا عـجلة، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. وكانُ يَقَطِّعُ قراءته آية آية، كان يمد عند حروف

(٢) الترغيب والترهيب ٣/٩ كتاب قراءة القرآن حديث رقم ١٠.

المـد، فـيـمد الرحمن، ويمد الرحيم وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراء ته فـيـقـول: (أعـوذ بالله من الشيطان الرجيم) وربما كان يقول: **(اللهم إني أعوذ بك من الشـيـطـان الرجيم: من همزه ونفخه ونفثه)** وكان يقرأ القرآن قائما وقاعداً ومضطجعا ومـتوضئاً ومحدثا ولم يكن يمنعه من قراءته إلا الجنابة. وكان يستمع لقراءة أصحابه، كما أمـر عـبـد الله بـن مـسـعـود فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه وكذلك استمع لقراءة أبي موسى الأشعري(١).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) انظر هدى النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن في زاد المعاد لابن القيم ٨٢/١.

الباب الثالث عشر

في آداب الصيام وفوائده

قال الله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**»(١).

هذا أمر من الله جل جلاله لعباده أن يتقوه فهو سبحانه أهل أن يخشى و يهاب. ويجل و يعظم و يرجى ويخاف من بطشه وعقابه، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة، والتقوى: هي فعل أوامر الله واجتناب نواهيه، وكرر التقوى زيادة على التحريض لها، وفي القرآن والسنة من الأمر بالتقوى والوصية بها ومدح أهلها ما في بعضه كفاية لمن وفقه الله، والتقوى وصية الله للأولين والآخرين قال تعالى: «**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله**» (٢).

فالواجب على الصائم إذا صام: أن يتقي الله، ويحفظ صيامه عما لا يليق من اللغو والرفث والشتم والغيبة والنميمة والكذب، فإن الله تعالى قال في حق الصائم: «**إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي**» وذلك أن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح، وهذه أعظم شهوات النفس، وفي التقرب بتركها بالصيام فوائد:

منها: كسر النفس فإن الشبع والرى ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة.

ومنها تخلى القلب للفكر والذكر، فإن تناول هذه الشهوات قد يقسى القلب و يعميه، و يحُول بين العبد و بين الذكر والفكر، و يستدعى الغفلة. وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب، و يوجب رقته و يزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر.

ومنها: أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بأقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من

---

(١) سورة الحشر آية ١٨.

(٢) سورة النساء آية ١٣١.

فضول الطعام والشراب وغير ذلك فإنه إذا قاسى الجوع عرف قدر النعمة، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله، و يدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته.

ومنها: أن الصيام يضيّق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فبالصيام تنكسر سَورة الشيطان وسَورة الشهوة والغضب فهذه بعض فوائد الصوم (١).

واعلم أنه لايتم التقرب إلى الله بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله عليه في كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فهذه الأمور حرام وفي حق الصائم أشد حرمة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه البخاري. وفي حديث آخر (ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث)** قال أبو موسى المديني: على شرط مسلم.

قال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام.

وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك و بصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك و يوم فطرك سواء قال الشاعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون ... وفي بصري غض وفي منطقي صمت
فحظي إذا من صومي الجوع والظما ... فإن قلت: إني صمت يومي فما صمت

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر)**(٢) وسر هذا أن التقرب إلى الله بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات فمن ارتكب المحرمات، ثم تقرب إلى الله

---

(١) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٦٣.

(٢) رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري.

تعالى بترك المباحات، كان بمثابة من يترك الفرائض و يتقرب بالنوافل، وإن كان صومه مجزئاً عند الجمهور، بحيث لايؤمر بإعادته.

وفي مسند الإمام احمد وسنن أبي داود وغيرهما عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا، وأن رجلا قال: يا رسول الله إن هُهنا امرأتين قد صامتا، وإنهما قد كادتا أن تموتا من العطش. فذكر الحديث ثم قال: **(إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس).**

وقال صلى الله عليه وسلم: **(الصيام جنة ما لم يخرقها ــ وفي بعض ألفاظ الحديث ــ قيل بم يخرقها؟ قال بكذب أو غيبة)** رواه النسائي والطبراني عن أبي عبيدة.

وقال صلى الله عليه وسلم **(الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم)** (١) فهذه الأحاديث فيها الأمر بصيانة الصوم عما يجرحه.

ومن آداب الصيام أن تصوم الجوارح عما حرم الله عليها فتصوم الأذن عن الاستماع للغو والكذب والغيبة، وتصوم العين عن النظر إلى الحرام، وما حظر الشرع النظر إليه، كالنساء الأجنبيات والمُردان، فزنا العين النظر، وهو سهم مسموم من سهام إبليس، و يصوم اللسان عن الكلام القبيح كما تقدم.

ومن آداب الصائم: تأخير السحور، وتعجيل الفطر إذا تحقق الغروب.

ومن آدابه: كثرة قراءة القرآن، وألا يكثر الأكل بالليل والنوم بالنهار بل يقتصد، فإذا سمعت ما ذكرنا عن المرأتين. وأنهما صامتا عما أحل الله وأفطرتا على ما حرم الله وذلك أنهما كانتا تغتابان الناس، فاحرص على الحلال ولا يكن يوم صومك و يوم فطرك سواء. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فصــــل
في فضل الكرم والجود في شهر رمضان

قـال الله تـعـالى: «**فـاتـقـوا الله مـا اسـتـطعتم، واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنـفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**»([1]) يقول الله تبارك وتعالى آمراً العـبـاد بـأن يتقوه جهدهم وطاقتهم «**(فاتقوا الله ما استطعتم**» **وقال صلى الله عليه وسلـم (إذا أمـرتـكـم بـأمـر فـأتوا منه ما استطعتم)**([2]) وكان الصحابة لما سمعوا قوله تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**» قاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جبـاهـهـم، فـأنـزل الله هذه الآية تخفيفا على المسلمين. ثم حث الله تعالى المؤمنين على السمع والطاعة لأوامره وترك نواهيه، ثم قال: «**وأنفقوا خيراً لأنفسكم**» أي: ابذلوا مما رزقـكـم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات. ثم قال «**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**»([3]).

أخـرج أحمـد عـن جـابـر بـن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلـم قـال: **(إيـاكـم والـظـلـم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم)** رواه مسلم في صحيحه.

وكان عبد الرحمن بن عوف يطوف بالبيت و يقول: [اللهم قني شح نفسي]. لا يزيد على ذلك.

وقـال صلى الله عـلـيـه وسلم **(برىء من الشح من أدى الزكاة، وقرى الضيف وأعطى في النائبة)** رواه ابن جرير.

وعـن ابـن عـبـاس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(خلق الله جـنـة عدن بيده، ودلى فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها. ثم نظر إليها فقال لها:**

---

(١) سورة التغابن آية ١٦.

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤/٣٧٦ ــ ٣٧٧.

تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل» رواه الطبراني بسند جيد. وقال ابن أبي الدنيا في آخر رواياته ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم **«ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»**.

وفي الصحيحين عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال: [كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن. وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة] وأخرجه الإمام أحمد بزيادة في آخره وهي **(لايسأل عن شيء إلا أعطاه)**.

الجود هو سعة العطاء وكثرته والله تعالى يوصف بالجود.

وفي الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن الله جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم)**.

فالله سبحانه وتعالى أجود الأجودين، وجوده يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان، وفيه أنزل الله قوله: **«وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان»**.

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره **(أنه ينادي فيه مناد: ياباغي الخير هلم، ويا باغي الشر أقصر. ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة)**.

ولما كان الله عز وجل قد جبل نبيه صلى الله عليه وسلم على أكمل الأخلاق وأشرفها، كما قال صلى الله عليه وسلم: **(بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** ذكره مالك عن أبي هريرة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس كلهم.

وكان جوده بجميع أنواع الجود: من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم. ولم يزل صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال منذ نشأ، ولهذا قالت خديجة في أول مبعثه لما رأى شيئا أزعجه، وذلك في أوائل

النبوة. وقال لها: لقد خفت على نفسي فقالت: والله لايخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافا كثيرة.

ففي الصحيحين عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم **(أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس)** وفي صحيح مسلم عنه قال: (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة) وفي رواية: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فأعطاه إياها فأتى قومه فقال يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاءً ما يخاف الفقر.

قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. وفيه أيضا عن صفوان بن أمية قال: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني، وإنه لمن أبغض الناس إليَّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ قال ابن شهاب :أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة.

وفي مغازى الواقدي: أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان يومئذ واديا مملوءً إبلا وغنما. فقال صفوان (أشهد ما طابت بهذا إلانفس نبي).

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم (أن الأعراب عَلِقُوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم فقال لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوباً ولا جباناً.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فصـــل

قال الله تعالى: «**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**»(١) هذا مدح لأهل الايثار الذين يقدمون الفقراء والمحاويج بإيثارهم على أنفسهم ولو كانوا هم أهل حاجة. وهذه الآية نزلت في الأنصار رضي الله عنهم وقد كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يتضاعف جوده في شهر رمضان وفي ذلك فوائد.

منها: شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه ففي الترمذي عن أنس مرفوعاً **(أفضل الصدقة صدقة في رمضان).**

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجورهم كما أن من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله فقد غزا.

وفي حديث زيد بن خالد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء)** أخرجه أحمد، وزاد الطبراني من حديث عائشة **(وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان لصاحب الطعام ما دام قوة الطعام فيه)** أي أجر وثواب.

وتقدم حديث سلمان وفيه **(وهو شهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، قال يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة)** رواه ابن خزيمة والبيهقي وغيرهما.

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه (٢).

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) سورة الحشر آية ٩.

(٢) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٧٦ ــ ١٧٨.

من فضائـــل القـــرآن

قـال الله تعالى: «**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل: آمنـوا به أولا تـؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجـداً، ويقولون: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا**» (١).

عـن عـائـشـة رضي الله عـنـها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الماهر بـالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**) متفق عليه.

ولهـمـا عـن أبـي مـوسى الأشـعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـلـم: (**مـثـل المـؤمـن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها حلو ولا ريح لها ومثل المنافق الـذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**).

وأخـرجـا أيـضـا عـن عثمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**).

وأخـرج مـسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسـلـم قـال: (**ما اجـتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بـيـنـهـم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**).

وعـن عـبـد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**يقال لصاحب القرآن اقرأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرأُها**) رواه أبو داود وغيره.

سورة الإسراء آية ١٠٦ ــ ١٠٩.

قال الخطابي: جاء في الأثر: أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، فيقال للقارىء ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن فمن استوفى قراءة القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يارب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه. فيقال له اقرأ وارق و يزداد بكل آية حسنة)** رواه ابن خزيمة والحاكم، وقال صحيح الإسناد.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار)** رواه ابن حبان في صحيحه(٢).

وأخرج مسلم عن أبي أُمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(اقرأو القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه).**

اعلم أن القرآن أفضل من سائر الذكر وهو أفضل من جميع الكتب المنزلة فينبغي للصائم إذا صام أن يكب على قراءة القرآن فهذه حال السلف الصالح، فكانوا يداومون على تلاوة القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها وتلاوة القرآن مطلوبة لا سيما في هذا الشهر و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على محمد.

---

(١) انظر معالم السنن للخطابي ٢٨٩/١.

(٢) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٩/٣ والماحل: الساعي وقيل خصم مجادل.

الباب الرابع عشر

تنبيه وتذكير

لإخواني المسلمين أهل الأموال

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ومذل من خالف أمره وعصاه وصلى الله وسلم على أفضل خلقه وأصفيائه محمد وعلى آله وأصحابه وأوليائه.

وبعد فتعلمون بارك الله فيكم أن الدين النصيحة وأن واجبا على المسلم النصح لأخيه المسلم ولفت نظره الى ما ينفعه في أمر دينه ودنياه وأن يحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فان الدين يفرض هذا على كل مسلم يخاف الله كما صرح بذلك نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** وإنني أرى بمناسبة هذا الشهر العظيم المبارك شهر الصيام تقبل الله منا ومنكم صيامه وقيامه وأعاده علينا وعليكم سنين عديدة أرى في هذه الفرصة تنبيه ولفت نظر إخواني المسلمين من أهل الثروة والأموال إلى هذا الواجب العظيم الذي هو ركن من أركان الدين وشعيرة مالية من شعائر الإيمان ألا وهو أداء زكاة الأموال التي هي قرينة الصلاة في كتاب الله التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة إلى الفقراء والمساكين وإن كان إخراجها ليس متحتما في شهر رمضان وإنما هو حلول الحول في رمضان أو غيره من الشهور والأيام ولكن الشيء له مناسبات وهي هنا فضيلة الصدقة في هذا الشهر وفي الحقيقة أن فريضة الزكاة في المال والأمر بإيصالها إلى الفقراء والأيتام هي من بعض حِكَم هذه الشريعة ومن بعض محاسن الإسلام حيث أمرت أهل الثروة والمال بأداء حقه وإيصاله الى مستحقه وفيها من الحكم تعويد النفس على الجود والكرم وفيها جبر قلوب الضعفاء والمساكين وفيها القضاء على الفقر والالم أو تخفيفه لأن الله هو الذي جعل بني الإنسان غنياً وفقيراً بقوله: **«نحن قسمنا بينهم معيشهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ**

بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون»[1] ولولا ذلك لتعطلت مصالح الناس ولكنه حكيم عليم، وفيها من المصالح جلب الألفة والمحبة ومقتضى الأخوة بين المسلمين، وفيها سد خلة المحتاج وتخفيف ضرورة حاجته حتى يسلم من أخذ أموال الناس بالباطل وعن السؤال للناس المذموم وفيها زكاة للنفوس وطهارة للقلوب والأعمال وصفاء للعقائد و بعد عن البخل والشح المذمومين كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله «**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**»[2] وهي من ناحية المال زكاء له ونماء وخير و بركة ونفع في الحس والمعنى كما أشار الى ذلك نبي الله عليه الصلاة والسلام بقوله (**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا**) رواه مسلم و بقوله يقول الله تعالى(**يا ابن آدم أنفق ينفق عليك**) متفق عليه.

وقد ذكر في الحديث في عقوبة مانع الزكاة أنه ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بسبب منع الزكاة وقد تكلم العلماء رحمهم الله في حكم مانع الزكاة أنه يقاتل كما قاتلهم الصحابة وكما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل**)[*] والتارك لها إما أن يكون تركه جحداً لوجوبها وعنادا للدين الإسلامي فهذا كافر خارج عن الإسلام وإما أن يكون تركه لها بخلاً وشحا وتغافلاً فهذا حرام باجماع المسلمين و يؤمر بها و يعزر عند منعها و يقاتله الإمام كما تقدم من فعل الصحابة رضي الله عنهم وقد قال أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ثم قال والله لو منعوني عناقا أو عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه فاستفهم عمر من أبي بكر رضى الله عنهما وناقشه الموضوع فبين له أبو بكر الدليل فاقتنع عمر واجتمع على ذلك الصحابة رضى الله عنهم وقد أثنى الله على

(*) متفق عليه.

(١) سورة الزخرف آية ٣٢.

(٢) سورة التوبة آية ١٠٣.

المؤدين للزكاة في كتابه العزيز بقوله تعالى «**هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون**»[٣].

وقال في أموالهم أى المتقين «**حق معلوم للسائل والمحروم**»[٤] وقد توعد سبحانه من منعها أو كرهها فقال في وصف المنافقين «**ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون**»[٥] وقال: «**وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرىٰ وما يغني عنه ماله إذا تردى**»[٦] وقد جاء القرآن الكريم بالأسلوب الذي تخشع له الجبال وترتعد منه فرائص الرجال الأسلوب الحكيم الذي جاء من الكبير المتعال قال تعالى: «**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**»[٧] قال ابن عباس رضى الله عنهما كل مال لم تؤد زكاته فهو كنز ثم تلا هذه الآية الكريمة وقد فسرها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بذلك بقوله أما إنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته. هذا صاحب المال الذي لم يؤد زكاته وقال في الإبل والبقر والغنم أنه يبطح لها بقاع قرقر تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها إلى أن قال كلما مر عليه أخراها رد عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

فيا عباد الله: أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم محتسبين الأجر والثواب خائفين من

---

(٣) سورة النمل آية ٢ و ٣.

(٤) سورة المعارج آية ٢٤ و ٢٥.

(٥) سورة التوبة آية ٥٤.

(٦) سورة الليل من آية ٨ ــ ١١.

(٧) سورة التوبة آية ٣٤ و ٣٥.

منعها من الحساب والعذاب ولا تتبعوها إذا أخرجتموها مناً ولا أذى فإن ذلك يبطلها كما قال ربكم عز وجل **«يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس»**(٨).

والشريعة المطهرة لا تأمر إلا بكل خير ولا تنهى إلا عن كل شر وأما المال الذي تجب فيه الزكاة فهو الذهب والفضة وما قام مقامهما في المعاملة كهذه الأوراق والفلوس وكذلك عروض التجارة والإبل والبقر والغنم فنصاب الذهب عشرون مثقالا وقدره من الجنيه السعودي والأفرنجي أحد عشر جنيها ونصف جنيه ونصاب الفضة مئتا درهم من الدراهم القديمة وهو بالمثاقيل مائة وأربعون مثقالاً وقدره من الريالات السعودية فضة كانت أو ورقاً ستة وخمسون ريالاً ومن الريالات الفرنسية ثلاثا وعشرون ريالاً تقريبا وفي الجميع ربع العشر إذا بلغت هذا النصاب المذكور وحال عليه الحول وكانت عند مسلم حر وصار المال ملكا له فلا يجوز تأخيرها عن وقتها فاذا حال عليها الحول مثلا في جمادى أو شعبان فلا يجوز تأخيرها إلى رمضان بل تخرج في وقتها، وأما مسألة تقديمها قبل وقتها إذا كان حولها مثلا في شوال فيجوز على أصح الأقوال اغتناما للزمان الفاضل والمكان وكذلك تجب الزكاة في عروض التجارة إذا ملكها بفعله بنية التجارة و بلغت قيمتها نصاباً من أحد النقدين فتُقَوَّم عند الحول بالأحظ للفقراء من ذهب أو فضة أو ورق ويجوز اخراج زكاتها من عينها كما اختار جوازه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله خصوصا إذا كان انفع للفقراء قال و يقوى على قول من يوجب الزكاة من عين المال فتجب الزكاة في عروض التجارة سواء كانت أقمشة أو زجاجا أو مفروشات تعرض للبيع أو مكائن أو سيارات أو أراضي قد اشتريت للتجارة أو غير ذلك مما يشترى للبيع وبذلك سميت عروضا لأنها تعرض وتزول و يشترط الحول في جميع أنصباء الزكاة إلا في الحبوب والثمار فإن وجوب الزكاة فيهما عند بدو صلاحهما وحصولهما والربح الذي يحصل له من بيعه وشرائه يضم إلى أصله ويحسب معه عند إخراج الزكاة و يكون حوله تبع أصله كنتاج السائمة من بهيمه الأنعام ولو لم تولد السخلة إلا قبل إخراج الزكاة بيوم

(٨) سورة البقرة آية ٢٦٤.

أو يومين، ومصرف الزكاة هو ما ذكره الله سبحانه بقوله: «**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**»(٩) فلا يجوز صرفها إلى غير أحد هؤلاء الثمانية كإجراء العيون لسقي الناس ولا إلى بناية المساجد والقناطر والأربطة وكنس الأسواق وتسهيلها وغير ذلك من الطرق الخيرية ولا تجوز المحابات فيها بدفعها إلى غني من صديق أو قريب أو فقير تلزمه مؤونته تقية لماله أو إلى زوجة غني منفق وسواء كانت أمواله في يده أو في البنوك أو دين على ملىء أو غيره فتجب فيها الزكاة ولا يجوز التحيل لاسقاطها فإن الحيل في إسقاط الواجب أو ارتكاب المحرم حرفة يهودية أعاذنا الله وإياكم منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل فيجب على الإنسان أن يحاسب نفسه ويخاف ربه عز وجل و يبرىء ذمته كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه [حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية].

فيا عباد الله تنبهوا لهذا الواجب العظيم وادفعوا الواجب إلى أهله لتفوزوا بخيري الدنيا والآخرة فيجب على المسلم أن يتعلم من أمر دينه ما يقوم به دينه كصلاته وصيامه وزكاته وحجه وغير ذلك من فرائض الإسلام حتى يؤدي العبادة على وجهها الشرعي حتى يسلم من طريقة النصارى الذين يعبدون الله على جهل وضلال ولهذا ضلوا وتاهوا وحاروا أعاذنا الله من طريقهم وليحذر المسلم أن يغلبه البخل والشح عن أداء زكاة ماله وهي أخت الصلاة وقرينتها في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام الأمر قال تعالى «**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**»(١٠).

وكذلك في مقام الثناء على من فعلها وكذلك في مقام ذم من تركها كما تقدم قال ابن عباس رضى الله عنهما ثلاث لكل واحدة منهن قرينة لا تقبل بدونها إحداهن قوله

(٩) سورة التوبة آية ٦٠.

(١٠) سورة البقرة آية ٤٣.

تعالى «**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**»(١١) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه والثانية قوله تعالى «**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**»(١٢) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه والثالثة قوله تعالى «**أن اشكر لي ولوالديك**»(١٣) فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه هذا ما رأينا الكلام حوله نصيحة لكم و براءة للذمة ومعذرة بين يدي الله عن إثم السكوت ونرجوا الله أن يصلح قلوب الجميع و يرزقنا الاستقامة و يثبتنا على دينه إنه على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم(١٤).

---

(١١) سورة النساء آية ٥٩.

(١٢) سورة البقرة آية ٤٣ و ١١٠.

(١٣) سورة لقمان آية ١٤.

(١٤) هذا الباب من املاء الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل فريان.

الباب الخامس عشر

في أهمية الزكاة في الإسلام(١)

الحمد لله الذي فرض الزكاة وأوجبها على الأغنياء حكمة بالغة وتطهيراً للأموال ورفقاً وتيسيراً للفقراء والضعفاء والمساكين فسبحانه من إله عليم حكيم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد فيا عباد الله اعلموا أن الله عز وجل فرض عليكم الزكاة تطهيراً لأموالكم ومساعدة لفقرائكم قال تبارك وتعالى «**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**» البقرة آية (٤٣).

وقال سبحانه وتعالى: «**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير**» آل عمران آية ١٨٠.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يُطَوَّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية «ولا يحسبن الذين يبخلون**» الآية رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج بيت الله وصوم رمضان**) رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله**) قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال (**فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر**) رواه البخاري.

---

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله السند ص ٥٠.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **(قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه)** رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول أعطه من هو إليه افقر مني قال فقال خذه إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله فإن شئت كله وإن شئت تصدق به ومالا فلا تتبعه نفسك فلأجل ذلك كان عبد الله لا يسأل أحداً شيئاً ولا يرد شيئاً أعطيه) رواه البخاري ومسلم. وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال **(ياحكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى)** قال حكيم فقلت [يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفى رضى الله عنه] رواه البخاري.

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن **(إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا هم أطاعوا بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)** رواه البخاري ومسلم.

فيا عباد الله: اعلموا أن الزكاة ركن من أركان الإسلام فرضها الله تعالى على الأمة الاسلامية في السنة الثانية من الهجرة وقرنها الله عز وجل مع الصلاة في كثير من آيات القرآن الكريم لما لها من الأهمية في الدين والدنيا فلا تكاد تقرأ في القرآن إقامة الصلاة إلا وقرأت معها إيتاء الزكاة لأن الصلاة تهذب الروح والزكاة تهذب المال وإذا تعود الإنسان اخراج الزكاة من ماله مرة أو مرتين وعلم يقيناً أنها تنفعه في المستقبل وتنفع المجتمع الذي هو فيه وتنفع الشخص الذي أعطاها إياه طهرت نفسه وتنزهت من أدواء البخل والشح قال الله سبحانه وتعالى **«ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»** التغابن آية (١٦).

فالزكاة إذاً طهرة للمال وتزكية للنفس، ومن فوائد الزكاة تولد المحبة بين الغني والفقير والزكاة عنوان للإيمان ومظهر شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه والله سبحانه وتعالى جعل بذل المال والانفاق في سبيل الخير علامة من علامات الإيمان و وصف البخل من آيات النفاق إن البخل ومنبعه القسوة على عباد الله والحرص على المال استرسالا في الشهوات وميلاً مع الأهواء لا يجتمع مع الإيمان الصحيح في قلب واحد وليس لأحد أن يزعم أنه يؤمن بالله وبما أنزل على رسله من الأ وامر والنواهي حتى يقوم بما أمر الله فيما طلب منه على ما يحب و يرضى.

فيا عباد الله: اعلموا أن السعة في الرزق و وفرة المال من أجلِّ النعم ومن الشكر على نعمة الغنى بالمال اخراج ما وجب فيه من زكاة وحقوق، وما ندب إليه من صدقة إحسان إلى الضعفاء والمساكين وصلة رحم من له رحم توصل به فالإنفاق في سبيل الخير وما ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم ومرافق حياتهم من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله كل ذلك من حقوق المال وأداؤه من شكر النعمة والنماء والبركة بعد ذلك حاصلان في المال ولا ريب لا تضر مالا صدقة بل تزيده وخير الناس من يكون قدوة حسنة في الخير وسبباً في البر والإحسان.

يـا مـن أنعم الله عليهم بالمال أنفقوا من أموالكم على إخوانكم المحتاجين أنفقوا منها في سـبـيـل الـبـر والإحـسـان فطريق الخير واسع والإنفاق فيها سهل على من يسره الله له تسابقوا إلى مرضات ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

فـيـا عـباد الله إذا فكرنا في مسألة المال وتداول الأيدي عليه رأينا أن الرزق بيد الله تـعـالى يـبسطه لمن يشاء و يقبضه عمن يشاء فهذا غني وهذا فقير وهذا ميسور الحال واسع الـنـعـمـة وهذا بائس محروم والله سبحانه وتعالى لا يغني شخصا لأنه يستحق الغنى، ولا يـفقر شخصاً لأنه جدير بالفقر فقد يغني عبداً وهو كاره له غاضب عليه لكفره وفسقه وقد يـغني عبداً كان من عباده الصالحين ثم جاءه الغنى فأشقاه وقد يفقر عبداً وهو راض عنه لـيـلجأ إلى الله بالدعاء والاستعانة وليَمُنَّ عليه بثواب الصبر وليأجره على عبادته ورضاه بما قسم له.

فـيا عباد الله: اعلموا أن الزكاة لا حق فيها لغني ولا لقوي مكتسب وإنما هي للضعيف الـعـاجـز عن اكتساب حاجته، ومصارف الزكاة ووجوه انفاقها محدودة بحد معروف ولا تـصـرف إلا لـمـن ذكـرهـم الله تـعـالى في كتابه الكريم بقوله «**إنما الصدقات للفقراء والمسـاكين والـعـاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**» التوبة آية (٦٠).

الـفـقير هـو الـذي لـيس له مال ولا قدرة على الكسب فمن قدر على كسب فإن ذلك يخرجه عن الفقر، والمسكين هو الذي لا يفي دخله بمصروفاته.

وعـن عـبـد الـرحمـن بـن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**ثـلاث والـذي نـفسي بـيـده إن كـنـت لحـالـفـا عـليهن لا ينقص مال من صدقة فـتـصـدقـوا ولا يعفو عبد عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر**) رواه أحمد.

جـعـلـنـي الله وإياكم ممن يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة بمنه وكرمه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب السادس عشر

في بحوث هامة حول الزكاة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه.

أما بعد فإن الباعث لكتابة هذه الكلمة هو النصح والتذكير بفريضة الزكاة التي تساهل بها الكثير من المسلمين فلم يخرجوها على الوجه المشروع مع عظم شأنها وكونها أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يستقيم ـ بناؤه إلا عليها لقول النبي صلى الله عليه وسلم **(بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت)** متفق على صحته.

وفرض الزكاة على المسلمين من أظهر محاسن الإسلام ورعايته لشئون معتنقيه لكثرة فوائدها ومسيس حاجة الفقراء المسلمين إليها فمن فوائدها تثبيت أواصر المودة بين الغني والفقير لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ومنها تطهير النفس وتزكيتها والبعد بها عن خلق الشح والبخل كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: **«خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها»**[1] ومنها تعويد المسلم صفة الجود والكرم والعطف على ذوى الحاجة، ومنها استجلاب البركة والزيادة والخلف، كما قال تعالى **«وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين»**[2] وقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل **(يا ابن آدم أنفق ننفق عليك)**[3] إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها أو قصر في إخراجها قال الله تعالى **«والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما**

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٣.

(٢) سورة سبأ آية ٣٩.

(٣) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان فميا اتفق عليه الشيخان جـ١ ص ٢٠٣.

كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»(٤) فكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة كما دل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)(٥) ثم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم صاحب الإبل والبقر والغنم الذي لا يؤدي زكاتها وأخبر أنه يعذب بها يوم القيامة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال **(من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ــ يعني شدقيه ــ ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية «ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة»** متفق عليه.

والزكاة تجب في أربعة أصناف الخارج من الأرض من الحبوب والثمار والسائمة من بهيمة الأنعام، والذهب والفضة وعروض التجارة. ولكل من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود لا تجب الزكاة فيما دونه فنصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق والوسق ستون صاعا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم فيكون مقدار النصاب من التمر والزبيب والحنطة والأرز والشعير ونحوها ثلاثمائة صاع بصاع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أربع حفنات بيدي الرجل المعتدل الخلقة إذا كانت يداه مملوئتين. وأما نصاب السائمة من الإبل والبقر والغنم ففيه تفصيل مبين في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي استطاعة الراغب في معرفته سؤال أهل العلم عن ذلك ولولا قصد الإيجاز لذكرناه لتمام الفائدة.

---

(٤) سورة التوبة آية ٣٥.

(٥) رواه البخاري ومسلم «الترغيب والترهيب» جـ ٢ ص ٥٦ ــ ٥٧.

وأما نصاب الفضة فمائة وأربعون مثقالا ومقداره بالدرهم العربي السعودي ستة وخمسون ريالا. ونصاب الذهب عشرون مثقالا ومقداره من الجنيهات السعودية أحد عشر جنيها وثلاثة أسباع الجنيه والواجب فيها ربع العشر على من ملك نصاباً منهما أو من أحدهما وحال عليه الحول والربح تابع للأصل فلا يحتاج الى حول جديد كما أن نتاج السائمة تابع لأصله فلا يحتاج إلى حول جديد إذا كان أصله نصابا وفي حكم الذهب والفضة الأوراق النقدية التي يتعامل بها الناس اليوم سواء سميت درهماً أو ديناراً أو دولارا أو غير ذلك من الأسماء إذا بلغت قيمتها نصاب الفضة أو الذهب وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة، و يلتحق بالنقود حلي النساء من الذهب والفضة خاصة إذا بلغت النصاب المتقدم وحال عليها الحول فإن فيها زكاة وإن كانت معدة للاستعمال أو العارية في أصح قولي العلماء لعموم قول النبى صلى الله عليه وسلم **(ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار)**(٦) ألخ الحديث المتقدم. ولما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى بيد امرأة سوارين من ذهب فقال أتعطين زكاة هذا قالت لا قال: **(أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار فألقتهما وقالت هما لله ولرسوله)** أخرجه أبو داود والنسائي بسند حسن وثبت عن أم سلمة رضى الله عنها أنها كانت تلبس أوضاحاً من ذهب فقالت: يا رسول الله أكنز هو فقال صلى الله عليه وسلم **(ما بلغ أن يزكى فزكى فليس بكنز)**(٧) مع أحاديث أخرى في هذا المعنى. أما العروض وهي السلع المعدة للبيع فإنها تقوم في آخر العام ويخرج ربع عشر قيمتها سواء كانت قيمتها مثل ثمنها أو أكثر أو أقل لحديث سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع] رواه أبو داود.

---

(٦) رواه الحاكم ومسلم. المصدر السابق جـ ٢ ص ٦١.

(٧) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وأخرجهأبو داود في باب (الكنز ما هو؟) «الإلمام بأحاديث الإحكام» ص ٢٢٤.

و يدخل في ذلك الأ راضي المعدة للبيع والعمارات والمكائن الرافعة للماء وغير ذلك من أصناف السلع المعدة للبيع. أما العمارات المعدة للإيجار لا للبيع فالزكاة في أجورها إذا حال عليها الحول أما ذاتها فليس فيها زكاة لكونها لم تعد للبيع وهكذا السيارات الخصوصية والتكاسي ليس فيها زكاة إذا كانت لم تعد للبيع وإنما اشتراها صاحبها للاستعمال وإذا اجتمع لصاحب سيارة الأجرة أو غيره نقود تبلغ النصاب فعليه زكاتها إذا حال عليها الحول سواء كان أعدها للنفقة أو للتزوج أو لشراء عقار أو لقضاء دين أو غير ذلك من المقاصد لعموم الأدلة الشرعية الدالة على وجوب الزكاة في مثل هذا والصحيح من أقوال العلماء أن الدين لا يمنع الزكاة لما تقدم. وهكذا أموال اليتامى والمجانين تجب فيها الزكاة عند جمهور العلماء إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول ويجب على أوليائهم اخراجها بالنية عنهم عند تمام الحول لعموم الأدلة مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ لما بعثه إلى أهل اليمن **(إن الله افترض عليهم صدقة في أمواهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم)**(٨).

والزكاة حق الله لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضرا ولا أن يقي بها ماله أو يدفع بها عنه مذمة. بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر مع طيب النفس بها والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته و يستحق جزيل المثوبة والخلف.

وقد أوضح الله سبحانه في كتابه الكريم أصناف أهل الزكاة فقال تعالى: **«إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم»**(٩) وفي ختم هذه الآية الكريمة بهذين الأسمين العظيمين تنبيه من الله سبحانه لعباده على أنه سبحانه هو العليم بأحوال عباده ومن يستحق منهم الصدقة ومن لا يستحق وهو الحكيم

---

(٨) رواه البخاري ومسلم «الإلمام بأحاديث الإحكام» ص ٢١٧.

(٩) سورة التوبة آية ٦٠.

في شـرعه وقدره فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها وان خفي على بعض الناس بـعـض أسـرار حـكـمـه لـيـطـمئن العباد لشرعه و يُسَلِّموا لحكمه والله المسئول أن يوفقنا والمـسلمين للفقه في دينه والصدق في معاملته والمسابقة إلى ما يرضيه والعافية من موجبات غضبه إنه سميع قريب وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الباب السابع عشر

ما جاء في غزوة بدر

قال الله تعالى: «**واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير**»(١).

ينبه تعالى على نعمه وإحسانه إلى خلقه، بما فرّق به بين الحق والباطل ببدر و يسمى الفرقان لأن الله أعلى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل، وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه.

قال ابن عباس في يوم الفرقان: «**هو يوم بدر فرق الله به بين الحق والباطل**».

وملخص القصة: أنه لما فرض صيام رمضان في ثاني سنة من الهجرة صامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصامه المسلمون معه، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم لطلب عير قريش قدمت من الشام إلى المدينة لأثنى عشرة ليلة خلت من رمضان، وأفطر في خروجه إليها وكانت سبب خروجه حاجة أصحابه خصوصاً المهاجرين «**الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً و ينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون**» (٢) وكانت هذه العير معها أموال كثيرة لأعدائهم الكفار الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ظلماً وعدواناً فقصد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أموال هؤلاء الظالمين المعتدين على أولياء الله وحزبه وجنده، فيردها على أولياء الله وحزبه، ليتقووا بها على عبادة الله وطاعته وجهاد أعدائه وهذا مما أحله الله لهذه الأمة، فإنه أحل لهم الغنائم وكان عدة من معه ثلاثمائة و بضعة عشر، كما ورد في سنن أبي داود، عن عبد الله بن عمرو، قال: «**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا، فقال (اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وإنهم عراة فاكسهم، وإنهم جياع فأشبعهم)** ففتح الله يوم بدر فانقلبوا ــ حين انقلبوا ــ وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا

---

(١) سورة الحشر آية ٨.

(٢) سورة الأنفال آية ٤١.

وشبعوا، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا على غاية من قلة الظهر والزاد، فإنهم لم يخرجوا مستعدين لحرب ولا قتال، إنما خرجوا لطلب العير، فكان معهم نحو سبعين بعيرا يعتقبونها بينهم كل ثلاثة على بعير، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم زميلان وكانوا يعتقبون على بعير واحد فكان زميلاه يقولان له: اركب يا رسول الله فيقول: ما أنتما بأقوى على المشي مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما، ولم يكن معهم إلا فرسان. وقيل: ثلاثة، وقيل فرس واحد للمقداد، و بلغ المشركين خروج النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العير فأخذ أبو سفيان بالعير نحو الساحل و بعث إلى مكة يخبرهم الخبر و يطلب منهم أن ينفروا لحماية عيرهم، فخرجوا مستصرخين وخرج أشرافهم ورؤساؤهم، وساروا نحو بدر واستشار النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في القتال. فتكلم المهاجرون فسكت عنهم، وإنما كان قصده الأنصار، لأنه ظن أنهم لم يبايعوه إلا على نصرته على من قصده في ديارهم، فقام سعد بن عبادة سيد الأنصار، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، وقال له المقداد: لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى: **«إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون»** ولكن نقاتل عن يمينك وشمالك و بين يديك ومن خلفك، فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وأجمع على القتال و بات تلك الليلة ــ ليلة سابع عشر رمضان ــ قائما يصلي و يبكي و يدعو الله و يستنصره على أعدائه.

وفي المسند عن علي بن أبي طالب: قال: [لقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة، يصلي و يبكي حتى أصبح] وفيه أيضاً عنه قال: أصابنا طش من مطر ــ يعني ليلة بدر ــ فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل بها من المطر، و بات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه و يقول: **(إن تهلك هذه الفئة لا تعبد)** فلما أن طلع الفجر نادى: **(الصلاة عباد الله)** فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحث على القتال وأمد الله تعالى

نبيه صلى الله عليه وسلم بنصر من عنده و بجند من جنده كما قال تعالى: **«إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله»**[1].

وفي صحيح البخاري أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: **(ماتعدون أهل بدر فيكم، قال: من أفضل المسلمين ــ أو كلمة نحوها ــ قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة)** قال الله تعالى: **«ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة»**[2] وقال تعالى: فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»[3] و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) سورة الأنفال آية ٩ ــ ١٠.

(٢) سورة آل عمران آية ١٢٣.

(٣) سورة الأنفال آية ١٧.

الباب الثامن عشر

في فضل تلاوة القرآن والعناية به

الحمد لله الكريم المنان ـ الذي أكرمنا بالقرآن. المعجزة المستمرة على تعاقب الأزمان. وجعله ربيعاً لقلوب أهل البصائر والعرفان. لا يَخْلَقُ على كثرة الرد وتغاير الأحيان. ويسره للذكر حتى استظهره صغار الولدان. وضمن حفظه فهو محفوظ بحفظ الله من الزيادة والتبديل والنقصان. أحمده على ذلك وعلى غيره من نعمه التي لا تحصى وخصوصاً نعمة الإيمان. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ننال بها الغفران. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حث على تعلم القرآن وتعليمه والتفكر فيه وتفهيمه. والعمل بأحكامه والوقوف عند حدوده. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله تعالى واهتموا بكتاب الله. قال الله عز وجل: «**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور**»(١) وروى البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**) رواه البخاري ومسلم. وروى مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت**

(١) سورة فاطر آية ٢٩ ـ ٣٠.

عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم.

عباد الله هذه نصوص سمعتموها من كتاب ربكم وسنة نبيكم تحثكم على تعلم كتاب الله وتلاوته والعمل به، لأنه مناط سعادتكم وهو المخرج من الفتن. فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم. وهو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغي الهدى من غيره أضله الله وهو حبل الله المتين. وهو الذكر الحكيم. وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة. ولا تشبع منه العلماء. ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد. ولا تنقضي عجائبه. من قال به صدق. ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل. ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. فأقبلوا على تعلمه وتعليمه وتلاوته والتفكر فيه وعلموه أولادكم ونشئوهم على تلاوته وحبه. حتى يألفوه و يتصلوا به فَيطَهِّرَ أخلاقهم و يزكي نفوسهم و يكونوا من حملة القرآن وأهله. لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يقرأ في صلاته وحفظ القرآن في الصغر أولى من حفظه في الكبر وأشد علوقاً بالذاكرة وأرسخ وأثبت. لأن التعلم في الصغر كالنقش في الحجر.

عباد الله: إن أكثر الناس اليوم انشغلوا عن تعلم القرآن ــ فالكبار انشغلوا بالدنيا والصغار انشغلوا بالدراسة النظامية في المدارس التي لا تعطي لتعليم القرآن وقتا كافياً ولا عناية لائقة ولا مدرسين يقومون بالواجب نحوه. وبقية وقت الأولاد مضيع في اللعب في الشوارع مما أدى إلى جهلهم بالقرآن وابتعادهم عنه حتى تجد أحدهم يحمل أكبر الشهادات الدراسية وهو لا يحسن أن يقرأ آية من كتاب الله على الوجه الصحيح وحتى آل الأمر إلى خلو كثير من المساجد من الأئمة لثقل تلاوة القرآن على غالب الناس ــ والسبب في كل ذلك بالدرجة الأولى إهمال الآباء لأبناءهم وعدم اهتمامهم بهذه الناحية. فلا يدري أحدهم ماحالة ابنه مع القرآن وحتى صار القرآن مهجوراً بين غالب المسلمين. وهذا ما شكا منه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «**يارب إن قومي اتخذوا**

هذا القرآن مهجورا»[1] قال ابن كثير رحمه الله: وترك تدبره وتفهمه من هجرانه. وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه والعدول عنه إلى غيره من شعر أو غناء أو لهو أو كلام. أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه. وقال ابن القيم رحمه الله:

هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره و يهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله **«وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً»**. وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. أ هـ.

وقد ورد في الحديث **(يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه)**

عباد الله: إنه لابد من تلقي القرآن وتعلمه عن معلمين يجيدون قراءته ولا يكفي أن يتهجاه الإنسان من المصحف. فان تلقي القرآن من فم الملقن أحسن وأضبط لأن الكتابة لا تدل على الأداء.

كما أن المشاهد من كثير ممن تلقاه من الكتابة فقط أنه يكثر تصحيفه وغلطه. فلا بد من معلم متقن يوقفه على ألفاظ القرآن فيجب على من أراد أن يتعلم القرآن أو يعلمه أولاده أن يختار المقرىء المجيد ليأخذوا القرآن عن إتقان و يتعلموه عن جودة ـــ فإن الاهتمام بكتاب الله من أهم المهمات.

---

(١) سورة الفرقان آية ٣٠.

عباد الله: ومن تعلم كتاب الله فليحافظ عليه وليكثر من تلاوته بتدبر وتفهم وخشوع وحضور قلب قال صلى الله عليه وسلم **(من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)** رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

قال ابن القيم رحمه الله: [تأمل خطاب القرآن تجد مَلِكاً له الملك كله وله الحمد كله. أَزِمَّةُ الأمور كلها بيده ينصح عباده و يدلهم على ما فيه سعادته وفلاحهم. و يرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم و يتعرف إليهم بأسمائه وصفاته و يتحبب إليهم بنعمه وآلائه فيذكرهم بنعمه عليهم. و يأمرهم بما يستوجبون به تمامها. و يذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه. وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه. ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء و يضرب الأمثال و ينوع الأدلة والبراهين. يدعوا إلى دار السلام و يذكر أوصافها وحسنها. ويحذر من دار البوار وَ يُذَكِّرُ عذابها وقبحها و يذكر عباده فقرهم إليه وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكا عظيما رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه فكيف لا تحبه وتتنافس على القرب منه. فالقرآن مذكر بالله مقرب إليه. فينبغي للمسلم أن يعنى بتعلمه و يكثر من تلاوته لأنه النور والشفاء والرحمة والروح والهدى والفرقان والذكر الحكيم والبرهان.

عباد الله: وأكثروا من تلاوة القرآن في شهر رمضان المبارك فإن تلاوته في هذا الشهر لها مزية وفضيلة على تلاوته في غيره من الأوقات لأنه أنزل فيه كما قال تعالى: **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** وقال: **«إنا أنزلناه في ليلة القدر»** ولأن الحسنات في هذا الشهر تضاعف أكثر من مضاعفتها في غيره، ولأن القلب يقبل على تدبر القرآن في هذا الشهر أكثر من غيره ولذلك كان جبريل عليه السلام يدارس نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم القرآن في هذا الشهر كل ليلة وكان السلف يقبلون على تلاوة القرآن فيه و يتفرغون من دراسة الحديث وطلب العلم ليقبلوا على تلاوته.

عباد الله: ومطلوب من المسلم أن يتلو القرآن على حسب حاله وفي حدود استطاعته

فإن كان يجيد القراءة فهذا أفضل وأكمل. وإن كان لا يجيدها فإنه يقرؤه على حسب حاله فقد ورد في الحديث: **(أن الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأه و يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)** رواه البخاري ومسلم.

و ينبغي لهذا أن يجتهد في إصلاح قراءته على يد من هو أحسن منه قراءة. كما أن المسلم يتلو ما تيسر له من القرآن فإن كان يقرؤه كله فهذا أكمل وأحسن وإلا قرأ ما يمكنه من سوره ليحوز الأجر والفضيلة ولا يتوقف عن التلاوة بحجة أنه لا يحسن قراءة القرآن كله. فيحرم نفسه الأجر و يفوت عليها الفرصة(*).

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام نسألك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا.

اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل والنهار على الوجه الذي يرضيك عنا واجعله حجة لنا لا حجة علينا.

اللهم اجعلنا ممن يحل حلاله ويحرم حرامه و يعمل بمحكمه و يؤمن بمتشابهه و يتلوه حق تلاوته. واجعلنا ممن يقيم حدوده ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه و يضيع حدوده.

اللهم اجعلنا ممن اتبع القرآن فقاده إلى رضوانك والجنة ولا تجعلنا ممن اتبعه القرآن فزخ في قفاه إلى النار.

واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.

يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(*) من خطب الشيخ صالح الفوزان ص ٢٦٨ ــ ٢٧٢. جـ١

(٤) سورة فاطر آية ٢٩ ــ ٣٠.

فصـــل

في الحث على تدبر القرآن والتحذير من الغفلة

قـال الله تعالى: **«ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق»**([1]) يقول تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيع؟.

روي عن ابن عباس أنه قال: [إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن] ([2]).

اعلم أن كلام رب العالمين والذكر الحكيم له طلاوة وحلاوة لمن هداه الله ووفقه و ينبغي أن يداوم على قراءته و يتلذذ بمناجاة الله بكلامه، و يكون خاشعا عاملاً بأوامره منتهيا عن زواجره.

قال ابن مسعود رضى الله عنه: [لا تهذوا القرآن هذ الشعر، وتنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة].

وقال عبد الله أيضا: [إذا سمعت الله يقول: **«يا أيها الذين آمنوا» فأصغ لها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أو شر تصرف عنه]**.

وقال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل به فاتَّخذُوا تلاوته عملاً.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم **(يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وقام بآية يرددها حتى الصباح)**([3]).

و ينبغي لقارىء القرآن أن يعمل به، ويحذر أن يكون ممن يقرأ القرآن والقرآن يلعنه.

قال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: إن أحدهم يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه، قيل

---

(١) سورة الحديد آية ١٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٣١٠.

(٣) وهي قوله تعالى: **«إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم»** سورة المائدة آية ١١٨.

له: كيف ذلك؟ قال: يقرأ «**لعنة الله على الكاذبين**» وهو يكذب «**ألا لعنة الله على الظالمين**» و يظلم.

ومن آداب القارىء أن يحذر من قطع القراءة، و يأخذ في الكلام الذي لا يعنى مع صاحبه القريب إلى جنبه. وهذا مما لا ينبغي، بل هو مكروه ومستقبح سيما إذا كان ذلك في المساجد، ذكر معنى ذلك في النصائح الدينية(١).

واعلم أن أهل القرآن هم العاملون به والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به، فليس من أهله، وإن أقام حروفه إقامة السهم، ففي القرآن ترغيب وترهيب، وفيه من البيان والإيضاح أمر عجيب وفيه وعد ووعيد، وتخويف وتقريع وتهديد، ولكن الغافل عن تدبره فَهْمُهُ بعيد. و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد و على آله وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر النصائح الدينية ص ٤٤ ــ ٤٨.

الباب التاسع عشر
في فوائد الصيام وآدابه

الحمد لله الذي شرع لعباده الصيام. لتهذيب نفوسهم وتطهيرهم من الآثام. أحمده وهو المستحق للحمد. وأشكره على نعم تزيد عن العد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أتقى من صلى وصام وحج واعتمر وأطاع ربه في السر والجهر. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً...

أما بعد: فياعباد الله اتقوا الله، عباد الله اشكروا الله أن بلغكم شهر رمضان ومكنكم من الصيام والقيام.

فإن الصيام من أنفع العبادات وأعظمها آثاراً في تطهير النفوس وتهذيب الأخلاق. فمن فوائده أنه يسبب تقوى الله تعالى. قال تعالى «**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**»(١) فالصيام يدخل العبد في حظيرة التقوى التي هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه فيقي بذلك نفسه من النار ومن جميع المخاوف. ومن فوائد الصيام أنه يكسب العبد الخير الكثير في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: «**وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**»(٢)

ومن فوائد الصيام أنه يعود الإنسان الصبر والتحمل والجلد لأنه يحمل الإنسان على ترك مألوفه وشهوته عن طواعية واختيار.

ومن فوائده أنه يمكن الإنسان من الانتصار على نفسه ــ فإن النفس ميالة إلى الشهوات فإذا أعطاها الإنسان ما تشتهي دائماً تغلبت عليه وربما انحرفت به إلى ما لا تحمد عقباه.

---

(١) سورة البقرة ــ أية ١٨٣

(٢) سورة البقرة ــ أية ١٨٤

قال تعالى: «**إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي**»[1] فالصائم يملك زمام نفسه و ينتصر عليها.

ومن فوائد الصيام أنه يضعف مجاري الشيطان في البدن لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم. فالعبد إذا أتاح لنفسه ما تطلبه من الشهوات فإن ذلك مما يساعد الشيطان على التمكن منه واضلاله وحمله على الأشر والبطر وغير ذلك من الخصال الذميمة.

والصيام يسد هذا الباب من أساسه و يطرد الشيطان ...

ومن فوائد الصيام ــ أنه يُذكِّر العبد بنعمة الله عليه فإنه اذا ذاق مس الجوع والعطش عرف قدر نعمة الله عليه حيث يسر له الطعام والشراب في أوقات الحاجة إليه فيشكر الله على ذلك و يعرف حاجته إلى ربه.

ومن فوائد الصيام أنه يحمل على الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين ــ فإن الصائم إذا جاع تذكر الجائعين وإذا عطش تذكر العطشى فيحمله ذلك على البذل والصدقة والإحسان إلى المحاويج.

ومن فوائد الصيام أنه يقمع الكبر والترفع على الناس. فإنه إذا صام الغني والفقير والملك والصعلوك والشريف والوضيع. فإن العبد يتذكر أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وأن الناس كلهم عباد الله تجري عليهم أحكامه على حد سواء...

ومن فوائد الصيام أنه سبب لاجتماع كلمة المسلمين وارتباط بعضهم ببعض فانهم يصومون في وقت واحد. و يفطرون في يوم واحد فكان ذلك مما يسبب إئتلافهم و يزيل أسباب الفرقة والنفرة فيما بينهم.

ومن فوائد الصيام أنه يسهل فعل الطاعات. فمن يلاحظ حال الصائمين في رمضان وما هم عليه من تحري الطاعة وتحري سبيل الخيرات وابتعادهم عن المعاصي ورغبتهم في الإحسان يدرك أن الصوم من أعظم أسباب الهداية. و يدرك معنى قوله تعالى: «**وأن**

(١) سورة يوسف ــ أية ٥٣

تصوموا خير لكم»(١) وقوله صلى الله عليه وسلم: **(الصوم جنة)** أي وقاية من المحذور...

ومن فوائد الصيام أنه يسبب صحة البدن بخلو المعدة من أخلاط الطعام المضرة. ففيه صحة للقلب من الأخلاق الذميمة وصحة للبدن من الأمراض المؤذية إلى غير ذلك من الفوائد التي لا تحصى...

عباد الله: واعلموا أن للصوم آداباً تجب مراعاتها. فالصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور. و بطنه عن الطعام والشراب وفرجه عن الرفث. فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه. وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه. فيخرج كلامه نافعاً صالحاً، وكذلك أعماله فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك. كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم. هذا هو الصوم المشروع لا مجرد الامساك عن الطعام والشراب.

ومن آداب الصيام أن لا يكثر من الطعام في الليل بل يأكل بمقدار فإنه ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. ومتى شبع أول الليل لم ينتفع بنفسه في باقيه. وكذلك إذا شبع وقت السحر لم ينتفع بنفسه في غالب النهار، لأن كثرة الأكل تورث الكسل والفتور ثم أنه يفوت المقصود من الصيام بكثرة الأكل. لأن المراد من الصيام أن يذوق طعم الجوع و يكون تاركاً للمشتهى.

ومن آداب الصيام تأخير السحور بحيث يبدأ الصيام عند طلوع الفجر الثاني قال تعالى: «**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**»(٢)...

ومن آداب الصيام تعجيل الإفطار إذا تحقق غروب الشمس اما بمشاهدة أو سماع آذان المغرب. و بعض الناس يخلون بذلك بحيث يسهرون معظم الليل ثم يتسحرون

(١) سورة البقرة ــ أية ١٨٤

(٢) سورة البقرة ــ أية ١٨٧

و ينامون قبل الفجر بساعة أو أكثر وهؤلاء قد ارتكبوا عدة أخطاء:

أولا: أنهم صاموا قبل وقت الصيام.

ثانياً: ربما تركوا صلاة الفجر مع الجماعة فعصوا الله بترك ما أوجب عليهم من صلاة الجماعة.

ثالثاً: ربما يخرجون صلاة الفجر عن وقتها فلا يصلونها إلا بعد طلوع الشمس وهذا خطر عظيم قال الله تعالى: «**فو يل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**»(٦) وقال تعالى: «**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة**»(٧) والسهو والإضاعة المذكوران في الآيتين هما إخراج الصلاة عن وقتها. فاتقوا الله ياعباد الله. ولا تبنوا دينكم من جانب وتهدموه من جانب آخر فإن الإسلام ينبني على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام فأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه(*)

قال الله تعالى «**يا أيها الذين ءآمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أوعلى سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**»(٨) و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.(*)

---

(٦) سورة الماعون أية ٤ــ٥

(٧) سورة مريم ــ أية ٥٩

(٨) سورة البقرة ــ أية ١٨٣ــ١٨٤

(*) من الخطب المنبرية للشيخ صالح الفوزان ص٨٨

فصـــل
في فضائل القرآن الكريم(١)

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديداً من لـدنه و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسنا وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريـك لـه وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله واصحابه واتباعه وسلم.

اما بعد فيا أيها المسلمون اعلموا ان الله عز وجل قال في كتابه المبين:

«إن هـذا الـقـرآن يـهـدى للـتـي هـي أقـوم و يـبشر المؤمـنـين الـذيـن يـعملون الـصـالحـات أن لهـم اجراً كـبـيراً»الاسراء أية(٩). وقال سبحانه وتعالى **«وننزل من الـقـرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً»**الاسراء أية(٨٢). وقـال تـبـارك وتـعـالى **«كـتـاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير»**هود أية(١). وقال جل شأنه **«ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر»**القمر أية(١٧).

وعـن عـثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخارى ومسلم وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسـول الله صلى الله عـلـيـه وسـلـم مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الا ترجة ريحها طيب وطعـمـهـا طـيـب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومـثـل المنـافـق الـذي يـقـرأ الـقـرآن مثل الريحانه ريحها طيب وطعمها مر رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن و يتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران»** رواه البخارى ومسلم.

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله السند ص٧٤

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال **(من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر وذلك قوله تعالى «ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا» قال الذين قرأوا القرآن)** رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد.

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين»** رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»** رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول ياويله امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلى النار»** رواه مسلم.

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول **(قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد «الحمد لله رب العالمين» قال الله حمدنى عبدى فاذا قال «الرحمن الرحيم» قال اثنى على عبدى فاذا قال «مالك يوم الدين» قال مجدنى عبدى واذا قال «اياك نعبد واياك نستعين» قال هذا بيني وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال «إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل)** رواه مسلم.

فيا عباد الله اعلموا ان هذا القرآن الكريم حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا تنقضى عجائبه ولم يمله سامعه ولا يَخلَقُ عن كثرة الرد إقرأوه فان الله تعالى يأجر على قراءته بكل حرف عشر حسنات لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وليست قراءته المطلوبة هذرمة أو ترنما يخرجه من شرف مكانته وعلو رفعته الى فن الاغاني والمطربات كما اولع به بعض اهل

هـذا الـزمـان وكما يفعله من اتخذ القرآن مأكلة يتغنى بالفاظه و يولّد حروفا زائدة على ما انـزل مـن الله تـعـالى ومع ذلـك يـريـدون صـد الـنـاس عـن الاقـبـال على قـراءة القرآن و يـقـصرونها على معينين من المطربين اطراباً غنائياً مجرداً بلا احترام الآيات ولا عملا بما تقتضيه من امر بخير أو نهي عن شر.

فـيـاعـبـاد الله ان الـقـرآن الكريم فيه قصص ومواعظ وحكم واحكام وإعذار وإنذار ووعـد و وعـيـد وتـبـشير وتخو يف واوصاف وتعليم وترغيب وترهيب واخلاق كريمة وشيم رفـيـعـة وسير مـأثـورة قـال الله تـبـارك وتـعـالى «**اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم**».سورة الاعراف آية٣

فـيـا أيها المسلمون ان هذا القرآن الكريم بين ايديكم تدبروا آياته وعالجوا به امراض قـلـوبـكـم فـهـو شـفـاء ورحمـة لـلـمـؤمنين آمنوا به ايمانا صادقا والتزموا امره واجتنبوا نهيه اسـتـضـيـئـوا بـنـوره واهتدوا بهديه اننا لن نكون امة صالحة قو ية ولن نكون اعزة و يقوى سـلـطـاننا ونسترد مجدنا ونكون كما كان اسلافنا ائمة وقادة هداة مرشدين ومصلحين الا اذا رجـعنا إلى ديننا واستمسكنا به وفهمناه كما أراد الله تعالى وحكّمناه في كل شيء في ديـنـنـا في سـيـاسـتـنـا في مـعـامـلا تـنا في اقوالنا وافعالنا قال الله عز وجل «**ما فرطنا في الكتاب من شيء**» الانعام أية(٣٨).

فـيـاعـبـاد الله ان الـقـرآن الكريم لا يساو يه قول مهما علا ولا كلام مهما سما لانه قـول المـنـزه عـن المـثـال والـتـشبيه المتعالى عن النقائص والانداد وحسب القرآن الكريم جـلالـة ومجداً ان الار بعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تذهب ببهاء اسلوبه الذي لا يزال غضا وان الانسان ليقرأ كلام أحب الناس اليه فيمجه بالتكرار و يعافه على مر الايام أما الـقـرآن الـكـريم فكلما زدت تلاوته ازداد حلاوة واذا استمسكت به استمسك بك حتى يسلمك إلى منزلة عند الله سبحانه وتعالى فيعطيك من نعمته حتى يكفيك و يفيض عليك من كرمه حتى يرضيك.

ومـن اغـجـب الـعـجـب أن يحن الانسان إلى استماع القرآن و يطرب لتلاوته ولو لم

يفهم معناه ادام الله تعالى علينا نعمة القرآن وزادنا له حباً و به تمسكاً فاحرص أيها المؤمن اللبيب على حفظ كتاب الله تعالى وتلاوته وفهمه وتفهمه والتحرز بما فيه من اوامر ونواه تسعدك في دنياك وتقر بك من مولاك وتسر في مثواك وتنجيك في اخراك.

فياعباد الله اعلموا ان القرآن الكريم انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وحفظه من التغيير والتحريف انزله هدى ونوراً ليخرج الناس به من ظلمات الشرك والجهل والعدوان إلى نور العلم والتوحيد والهدى والعرفان و ينقذهم به مما هم فيه من جهالة وعمى يدعوهم إلى الايمان بربهم وإلى الاستسلام له يدعوهم إلى مكارم الاخلاق وسلوك الصراط المستقيم.

فياعباد الله ان القرآن الكريم شفاء لما في الصدور فكم اذهب اسقاماً وازال آلاماً وشفى صدوراً وابرأ جسوماً وقد ورد في الحديث الصحيح أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرقون اللديغ بام الكتاب فيبرأ لوقته و يقوم لساعته وقد أقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم فانعم به من هدى واكرم به من شفاء وهو يشفى كل من آمن به من الشك والريب.

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «**انها ستكون فتنة قلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يَخْلَق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا (انا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم**» رواه الترمذي.

اللهم اجعلنا من اتباع القرآن واجعل القرآن قائداً لنا إلى الجنة ولا تجعله سائقا لنا إلى النار برحمتك انك انت ارحم الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه واتباعه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الباب العشرون
ما جاء في العشر الأواخر من رمضان(*)

الحمد لله الذي أتاح لعباده أوقات الفضائل ومواسم العبادة. ليتزودوا فيها من الأعمال الصالحة و يتوبوا إلى ربهم من الأعمال السيئة. وليضاعف لهم فيها الأجور. و يعرضهم فيها لنفحات جوده و ينزل عليهم فيها من رحمته وإحسانه. أحمده على نعمه وأشكره على جزيل إحسانه. وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شرع فيسر. ورحم وغفر. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. كان يغتنم مواسم الفضائل ويحث على اغتنامها ويحذر من إضاعتها نصحاً للأمة وحرصاً على جلب الخير لها ودفع الشر عنها صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بهديه وساروا على سنته وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله واعلموا أنكم تستقبلون عشراً مباركة هي العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم. انها العشر التي اختصها الله بالفضائل والأجور الكثيرة والخيرات الوفيرة. فمن خصائص هذه العشر: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في العمل فيها أكثر من غيرها ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن النبى صلى الله عليه وسلم **«كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»**. وفي الصحيحين عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم **«إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله. وهذا شامل للاجتهاد في هذه العشر بجميع أنواع العبادة من صلاة وقراءة قرآن. وذكر لله بالتسبيح والتهليل والاستغفار والصدقة وغير ذلك»**. وفي هذين الحديثين وما جاء بمعناهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتفرغ للعبادة في هذه العشر. فينبغي لك أيها المسلم أن تتفرغ فيها من أعمال الدنيا أو تخفف منها وتشتغل بالعبادة اقتداء بنبيك وطلباً للأجر وغفران الذنوب. ومن خصائص هذه العشر المباركة الاجتهاد في قيام الليل وتطويل الصلاة بتطويل القيام فيها والركوع والسجود. وإيقاظ الأهل والأولاد ليشاركوا المسلمين في إظهار هذه الشعيرة و يشتركوا

(*) من خطب الشيخ صالح الفوزان ص ٩٢/١

في الأجر والثواب و يتربوا على العبادة وتعظيم هذه المناسبات الدينية. وهذا أمر يغفل عنه الكثير من الناس فيتركون أولادهم يلعبون في الشوارع و يسهرون لمزاولة أمور تضرهم في دينهم ودنياهم. وإنه لمن الحرمان العظيم والخسارة الفادحة أن ترى كثيراً من المسلمين تمر بهم هذه الليالي العظيمة وهم وأهلوهم وأولادهم في غفلة معرضون. فيمضون هذه الأوقات الثمينة فيما لا ينفعهم. يسهرون معظم الليل في اللهو الباطل فإذا جاء وقت القيام والتهجد ناموا وفوتوا على أنفسهم خيراً كثيراً لعلهم لا يدركونه بعد عامهم هذا، وحملوا أنفسهم وأهلهم وأولادهم أوزاراً ثقيلة لم يفكروا في سوء عاقبتها، إن هذا من تلاعب الشيطان بهم وصده إياهم عن سبيل الله، قد يقول قائل ان هذا القيام نافلة وأنا يكفيني المحافظة على الفرائض. والجواب عن ذلك أن نقول: ان المحافظة على الفرائض فيها خير كثير ولا تُسأل إلا عنها. ولكن ما الذي يدريك أنك أديت الفرائض بالوفاء والتمام. فأنت بحاجة إلى النوافل ليكمل بها نقص الفرائض يوم القيامة. روى الترمذي وغيره في الحديث القدسي «**قال الرب سبحانه انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك**» والله سبحانه فرض الفرائض وعلم من عباده أنهم سيقصرون في اتمامها واكمالها فشرع لهم النوافل لجبر هذا التقصير ــ رحمة بهم ــ شرع نوافل من جنس الواجبات فجعل من الصلاة ما هو واجب وما هو تطوع. وجعل من الصدقات ما هو واجب وما هو تطوع. وجعل من الصيام. ما هو واجب وما هو تطوع. ومن الحج ما هو واجب وما هو تطوع. ولا تكاد تجد واجباً إلا و بجانبه تطوع من جنسه. ثم لو فرضنا أنك وفيت الفرائض حقها. فأنت مأمور بالاقتداء بنبيك صلى الله عليه وسلم فقد كان يقوم من الليل على الدوام ولا سيما في هذه العشر. وقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لرجل: لا تدع قيام الليل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدعه وكان إذا مرض أو قالت كسل صلى قاعداً، وفي رواية عنها قالت بلغني عن قوم يقولون إن أدينا الفرائض لم نبال ألا نزداد ولعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار وما أنتم إلا من

نبيكم وما نبيكم إلا منكم والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل. تشير رضي الله عنها إلى أنه ينبغي للمسلم الاقتداء بنبيه فلا يدع قيام الليل.

أيها المسلمون: ومن خصائص هذه العشر أنها يرجى فيها مصادفة ليلة القدر التي قال الله فيها: «**ليلة القدر خير من ألف شهر**» قال النخعي: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر سواها ــ وألف شهر ياعباد الله ثلاثة وثمانون عاماً وأربعة أشهر. فالعمل في هذه الليلة لمن وفقه الله خير من العمل في ثلاثة وثمانين عاماً وأربعة أشهر وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» وقوله «**إيماناً واحتساباً**» يعني ايماناً بالله وبما أعد فيها من الثواب للقائمين فيها واحتساباً للأجر وطلب الثواب. وهذه الليلة في العشر الأواخر من رمضان لقول النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: «**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**». ولن تظفر بهذه الليلة إلا إذا قمت ليالي العشر كلها. فقد أخفى الله سبحانه علمها على العباد رحمة بهم ليكثر عملهم من طلبها في تلك الليالي الفاضلة بالصلاة والذكر والدعاء فيزدادوا تقرباً الى الله تعالى وثواباً. وأخفاها أيضاً اختباراً للعباد ليتبين بذلك من كان جاداً في طلبها حريصاً عليها ممن كان كسلاناً متهاوناً فإن من حرص على شيء جد في طلبه...

أرأيتم لو أعلن عن مساهمة في شركة يأمل فيها الناس حصول الربح أليسوا يزدحمون على المساهمة فيها و يتحملون التعب و بذل الأموال في سبيل ذلك. ومن فاتته الفرصة منهم ندم ندامة شديدة. فما بالهم يعرضون عن المساهمة في الجنة لدى أرحم الراحمين الذي يربح العاملون عنده أضعافاً مضاعفة بغير حساب..إنه الحرمان والخذلان ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال تعالى: «**بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى**»(١)

أيها المسلمون: ومن خصائص هذه العشر المباركة مشروعية الاعتكاف فيها. وهو اللبث والبقاء في المساجد مدة هذه الأيام المباركة للتفرغ لطاعة الله عز وجل وهو من

---

(١) سورة الأعلى ــ أية ١٦ــ١٧

السنن الثابتة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فقد اعتكف النبي صلى الله عليه وسلم واعتكف أصحابه معه و بعده. والاعكتاف: انقطاع عن الناس وتفرغ لطاعة الله في مسجد من مساجده طلباً لفضله وثوابه وطلباً لليلة القدر و يشتغل المعتكف بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة ولا يخرج من المسجد إلا لما لابد له منه ــ ليخلو بر به و يتزود لنفسه من الأعمال الصالحة في هذا الموسم العظيم فينبغي لمن يتمكن من إحياء هذه السنة أن يبادر اليها لما فيها من الأجر العظيم وتدريب النفس على الطاعة. إن إحياء هذه السنة التي تركت في هذا الزمان أولى من العمرة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في هذا الشهر بينما كان يعتكف الى أن لقي ر به. وترى الناس يتسابقون الى العمرة ويحرصون عليها وهذا شيء طيب ولكن الاعتكاف آكد. ومن لم يتمكن من الاعتكاف فليحافظ على بقية الطاعات الواجبة والمسنونة من التبكير الى المساجد والجلوس فيها لتلاوة القرآن والذكر والعبادة **«وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً»**[2] قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: **«انا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر»**(٣) وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(٢) سورة المزمل ــ أية ٢٠

(٣) سورة القدر ــ أية ١ ــ ٥

(فصـــل)

(من فضائل هذه الأمة)

قـال الله تـعالى: **«كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنـكر وتؤمنون بالله»**(١) فامتدحهم الله جل ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنـكـر و يؤمـنـون بالله تعالى ولهم فضل كثيرعلى غيرهم من الأمم والمراد بهم أمة محمد صلى الله عـليه وسلم، فإنهم خير الأمم وأكرمها على الله وجعل الله نبيهم أفضل الأنبياء، وكـتابهم خير الكتب، ومهيمناً عليها وخصهم الله بشهر رمضان، و بليلة القدر، و بزيادة مـضـاعـفة الأعمال، إلى غير ذلك وفيهم العلماء والزهاد الذين لم يكن في الأمم السالفة مثلهم.

(١) سورة آل عمران آية ١١٠

(من أسباب المغفرة)

عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وكنا في صُفَّةِ المدينة، فقام علينا فقال: «**إنى رأيت البارحة عجباً: رأيت رجلا من أمتى أتاه ملكُ الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه، ورأيت رجلا من أمتي قد بُسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه، ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلتهب عطشاً ــ وفي رواية: يلهث عطشاً ــ كلما دنا من حوض منع وطرد، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه. ورأيت رجلا من أمتي ورأيت النبيين جلوساً حلقا حلقا كلما دنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى، ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتى يتّقى وهج النار وشررها بيده، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار، وظللت على رأسه. ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلته لرحمه فقالت: يامعشر المؤمنين، إنه كان وصولا لرحمه فكلموه، فكلمه المؤمنون وصافحوه ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلا من أمتى ذهبت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه**

ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه، فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلا من أمتى قائماً على شفير جهنم، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلا من أمتى قد هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى. ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحياناً و يتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة، فغلقت الأبواب دونه. فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة» رواه الحافظ أبو موسى المدينى، و بنى كتابه عليه. وأخرجه الطبرانى أيضا وهذا الحديث حديث عظيم جليل شريف. كان أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأنه و يقول: شواهد الصحة عليه. و بالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الحادي والعشرون
في
(فضل الاعتكاف ولزوم المساجد)

قال الله تعالى: «**في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه، يُسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأ بصار**».(١)

هاتان الآياتان في ذكر المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأ رض وهي بيوته التي يُعبد فيها و يوحَّدُ، وفيها أمر من الله تبارك وتعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق بها.

وقد مدح الله تعالى هؤلاء الرجال بأنهم في بيوته التي أذن الله أن ترفع و يُذكر فيها اسمه.

قال ابن عباس: يتلى كتابه. وهذا فيه إشعار بهممهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية التي صاروا بها عُمَّاراً للمساجد، و يُسبِّحون له في أول النهار وآخره فيها. قال ابن عباس أيضاً: المراد به صلاة الفجر والعصر، وامتدحهم تعالى بأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة أى يقدمون طاعته ومراده ومحبته، على مرادهم ومحبتهم. وقد وردت أحاديث في فضل لزوم المساجد و بنائها، والتردد إليها وتنظيفها فنشير إلى بعضها للفائدة.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله؛ اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إنى أخاف الله، ورجل**

(١) سورة النور آية ٣٦ــ٣٧

تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله عز وجل: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر)» رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وغيرهما.

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجداً قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة» رواه البزار وابن حبان.

وأخرج الشيخان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال ـ عند قول الناس فيه ـ حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم أكثرتم عليّ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة».

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من مشى في ظلمة الليل إلى المسجد لقى الله بنور يوم القيامة» رواه الطبرانى وفي لفظ ابن حبان قال: «من مشى في ظلمة الليل إلى المساجد آتاه الله نورا يوم القيامة».

وعن بريدة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «بشر المشائين في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» رواه أبو داود وغيره.

وأخرج الطبرانى عن سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره»

وقال صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يارسول الله! قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» رواه مسلم وغيره

ولما رأى صلى الله عليه وسلم نخامة في قبلة المسجد تغيظ على الناس ثم حكها، قال الراوي: واحسبه قال فدعا بزعفران فلطخه به وقال: **«إن الله عز وجل قِبَلَ وجه أحدكم إذا صلى فلا يبصق بين يديه»** رواه البخاري ومسلم والاحاديث في هذا الباب كثيرة.

فمما تُصان عنه المساجد القاذورات، كالبصاق والمخاط فضلا عن غيره.

ومما تصان عنه المساجد البيع والشراء ورفع الأصوات وإنشاد الضالة ويمنع منها جنب وحائض، فلا يلبثان بغير وضوء.

وتصان المساجد عن الخوض بكلام لا فائدة فيه من فضول الكلام وحديث الدنيا، وعن الصغير والمجنون، ويحرم التكسب في جميع الصناعات فيها.

و يستحب إذا دخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى، و يقول: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبي، وافتح لى أبواب رحمتك، ولا يجلس حتى يصلى ركعتين وهو على وضوء، وأن يشتغل بذكر الله والقراءة والصلاة، وإذا خرج من المسجد قال ذلك، إلا أنه يقول: وافتح لى أبواب فضلك. ومن لزوم المساجد الاعتكاف فيها.

وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها **«أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده»**

وعنها رضى الله عنها قالت: **«السنة للمعتكف ألا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة، ولا يباشرها، ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد له منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعكتاف إلا في مسجد جامع»** رواه أبو داود وآخره موقوف.

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل، وتركه مرة فقضاه في شوال، واعتكف مرة في العشر الأول، ثم الوسطى، ثم العشر الأخيرة يلتمس ليلة القدر، ثم تبين له أنها في العشر الأخيرة، فداوم على اعتكافه حتى

لحق بـر بـه عـز وجـل، وكـان يـأمر بخباء فيضرب له في المسجد يخلو فيه بر به عز وجل.
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصــل)
في
فضل عمارة المساجد

قال الله تعالى: «**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله**»(١) هذه منقبة عظيمة، وشهادة من الله تعالى بالإيمان لعمار المساجد. وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان**» والمراد بعمارة المساجد عمارتها بالذكر والصلاة والتوحيد. لا مجرد العمارة بالبناء مع الشرك بالله.

في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد المئزر وأحيا ليله، وأيقظ أهله**».

وفي رواية: «**إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر**».

ولمسلم عنها قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره**»

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر، فمنها: الاعتكاف، فإنه كان يداوم عليه في العشر الأواخر حتى توفاه الله تعالى، يطلب ليلة القدر، وإنما كان يعتكف النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعا لاشغاله وتفريغا لباله، وتخليا لمناجاة ربه، وذكره ودعائه.

وكان يحتجز حصيراً يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم، ولا يشتغل بهم، ولهذا ذهب إمام السنة أحمد بن حنبل إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن، بل الأفضل له الأنفراد بنفسه، والتخلي بمناجاة ربه، وذكره

---

(١) سورة التوبة أية ١٨

ودعـائه. وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية. وإنما يكون في المساجد، لئلا يترك به الجمع والجماعات، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها.

وسـئـل ابـن عـباس عن رجل يصوم النهار و يقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة؟ فقال: هو في النار(١)

فـالخـلـوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصا في شهر رمضان، خـصـوصـا في العشر الأ واخر منه، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعله؛ فالمعتكف قـد حـبـس نـفـسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بـقلبه وقالبه على ر به وما يقر به منه، فما بقى له هم سوى الله وما يرضيه عنه، كما كان داود الطائى يقول في ليله: همك عطل عليَّ الهموم، وحال بينى و بين السُّهاد. وشوقى إلى النظر إليك أوثق منى اللذات وحال بينى و بين الشهوات.

فـمـعـنـى الاعـتـكاف وحقيقته: قطع العلائق عن الخلائق للا تصال بخدمة الخالق، وكـلـمـا قو يت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله تعالى بالكلية على كل حال(٢)

ومـنها: إحياء الليل. فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحيى ليالى العشر الأ واخر من رمضان.

وقـال في حـديـث أبـى هـريـرة لمـا ذكر رمضان: «**من قام رمضان إيمانا واحتساباً خرج من ذنو به كيوم ولد ته أمه**» رواه النسائي.

وفي روايـة له قال: «**إن الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، خرج من ذنو به كيوم ولد ته أمه**».

وأخـرج الـشـيـخـان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «**كان رسول الله صلى الله عـلـيـه وسـلـم يـرغـب في قـيـام رمـضـان من غير أن يأمرهم بعزيمة، ثم يقول من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»

(١) رواه الترمذي موقوفاً

(٢) أنظر لطائف المعارف لابن رجب ص٢٠٣

وإحـيـاء اللـيل يحتمل أن المراد: إحياء الليل كله، لحديث عائشة من وجه ضعيف، وفـيـه: «**وأحـيـا اللـيـل كـلـه**» ويحتمل أن المراد بإحياء الليل: إحياء غالبه، فقد فسره بعـضهم بإحياء نصف الليل، وقال: من أحيا نصف الليل فقد أحيا الليل. وذكر بعض الشافعية: أنه تحصل فضيلة الإحياء بمعظم الليل.

وكان صلى الله عليه وسلم يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر، دون غيرها من الليالى. وفي حـديث أبـى ذر: «**أن الـنـبـى صلى الله عليه وسلم لما قام ليلة ثلاث وعشرين، وخمـس وعـشـريـن، وسـبـع وعـشـريـن، وذكـر أنـه دعـا أهـلـه ونـسـاءه لـيـلة سبع وعشرين**»(*)

وأخرج الطبرانى من حديث علي «**أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله في العشر الأ واخر من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة**»

وقـال سـفـيـان الثورى: «**أحب إلى إذا دخل العشر الأ واخر، أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه، و ينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك**».

فـاعـلم أنه يجتمع للمؤمن في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجـهـاد بـالليل على القيام؛ فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما وصبر عليهما وفي أجـره بـغير حـسـاب؛ فـيـنـبـغـي لـلإنسان أن يجتهد في هذه الليالى المباركة في القيام والـقراءة والدعاء؛ فهذه عادة السلف في كل الأ زمان، لاسيما في شهر رمضان، لا سيما في هذه العشر[1]

و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

---

(١) أنظر لطائف المعارف لابن رجب ص١٩٦ــ٢١٤
(*) رواه اهل السنن وصححه الترمذي

الباب الثاني والعشرون
في
فضل قيام الليل

قال الله تعالى: «**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**»سورة السجدة أية ١٦ــ١٧

وقال جل ذكره: «**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون**»سورة الذاريات أية ١٧ــ١٨

وقال عز وجل: «**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**»سورة الإسراء أية ٧٩

هذا مدح من الله تبارك وتعالى للقائمين بالليل، وحث وترغيب في قيام الليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته، أثنى عليهم، ونوه بذكرهم فينبغي للإنسان ألا تفوته هذه الغنائم.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: «**والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار وقيام الرجل في جوف الليل ثم تلا: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع)**(١)

وعن عائشة رضي الله عنها: «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقلت له: لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً**»متفق عليه.

كان نبيكم صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل ولم يكن يدعه لا حضراً ولا سفراً. وكان له بالليل والنهار أربعون ركعة يداوم عليها ولا يتركها، وتارة يزيد ما شاء الله عليها، فسبعة عشر ركعة الفرائض، وإحدى عشرة ركعة قيام الليل على الدوام، وعشر ركعات السنن الراتبة أو اثنتا عشرة، ذلك سوى صلاة الضحى وتحية المسجد ونحو ذلك.

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

فينبغي للعبد أن يواظب على هذا الورد دائما إلى الممات. فما أسرع الإجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة(1)

وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أيقظ أهله وشد المئزر، أي: جد واجتهد في العبادة على قول من فسره بالمعنى.

والصحيح: أنه يعتزل النساء كما ورد مفسرا بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان.

وفي حديث أنس: «**وطوى فراشه واعتزل النساء**»

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف غالبا العشر الأواخر والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع، قال الله تعالى: «**ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد**» بل كان يصيب من أهله في العشرين الأول، ثم يعتزل النساء، و يتفرغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر.

كان يطرق فاطمة وعليا فيقول لهما: «**ألا تقومان فتصليان؟**»، وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده، وأراد أن يوتر.

وقد ورد الترغيب في ايقاظ أحد الزوجين الآخر للصلاة، فإن أبى نضح الماء في وجهه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء**» رواه أبو داود وغيره.

وفي رواية له عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلى أو صليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**».

وقد قال الله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى»

---

(1) أنظر زاد المعاد لابن القيم ٣٢٧/١ بتحقيق الأرنؤط

وفي الموطأ: «أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصلى من الليل ما شاء الله أن يصلى، حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، و يقول لهم: الصلاة الصلاة، و يتلو هذه الأ ية: «**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها**».

ولصلاة الليل على صلاة النهار فضل، لانها ابلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص وأشق على النفوس، فإن الليل محل النوم والراحة من التعب بالنهار ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر وأحضر للقلب، و يتواطأ هو واللسان على الفهم.

وصلاة الليل منهاة عن الإثم، ولهذا لما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم: إن فلاناً يصلى من الليل؛ فإذا أصبح سرق؟ قال: «**سينهاه ما تقول**».

ولأن وقت التهجد من الليل أفضل أوقات التطوع بالصلاة، وأقرب ما يكون العبد من ر به، وهو وقت فتح أبواب السماء، واستجابة الدعاء واستعراض حوائج السائلين.

وفي الليل ساعة الإجابة، وفيه النزول الإلهي؛ فينبغي لمن وفقه الله تعالى أن يحرص على اغتنام فرص الخيرات.

فعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه، وذلك كل ليلة**»رواه مسلم

واعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد كان يطيل القراءة في قيام رمضان في الليل خاصة أكثر من غيره و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(فصــل)
ومما جاء في إحياء الليل

قال الله تعالى: «**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض. ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**»(*).

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «**بتُّ عند خالتى ميمونة، فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة، ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء، فقال: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح**».

وقال ابن ماجة: حدثنا على بن محمد، وساق بالإسناد إلى النضر بن شيبان قال: لقيت أبا سلمة بن عبد الرحمن، فقلت: حدثنى بحديث سمعته من أبيك يذكره في شهر رمضان، قال: نعم حدثنى أبى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر شهر رمضان فقال: «**شهر كتب الله عليكم صيامه، وسننت لكم قيامه؛ فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» (ورواه احمد والنسائى عن عبد الرحمن بن عوف)(١)

ففي هذا دليل على تأكد استحباب قيام رمضان، لاسيما العشر الأواخر منه. كما ثبت ذلك في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: «**كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخلت العشر أحيا الليل وشد المئزر وأيقظ أهله**» قوله «شد المئزر» أى ترك الجماع وشمر في العبادة.

---

(١) أنظر المنتقى من أخبار المصطفى ١/٥٤٠ حديث رقم ١٢٢٦
(*) سورة آل عمران أية ٩٠ـــ٩١

واعلم رحمك الله تعالى، أنه ينبغي للصائم القائم الذي يرجو ثواب صيامه وقيامه أن يحفظ صيامه عما يشوبه من المعاصي، كقول الزور والكذب والغيبة، والأقوال التي لا يترتب عليها مصلحة دينية، وعن الاستماع إلى اللهو والأغاني وغير ذلك، وأن يخلص عمله لربه سبحانه وتعالى، ولا يرائي بعمله أحدا.

فقد قال سبحانه وتعالى: «**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**»(١)

وأن يحافظ على الصلوات المكتوبة في أوقاتها مع الجماعات، ولا يفعل ما يفعله غالب الناس الآن، فإن بعضهم كان يقوم بالنافلة و يدع الفرض كان يقوم من الليل فينام النهار كله و يدع الأوقات المفروضة.

واعلم أن أهم ما على الإنسان: المحافظة على الصلاة في الجماعات؛ فقد وردت الأخبار الصحيحة على الترغيب فيها والمحافظة عليها والترهيب من تركها والتهاون بها.

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**صلاة الجماعة تفضل على صلاة الرجل وحده بسبع وعشرين درجة**» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح

وعن أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهما: أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره: «**لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين**» رواه مسلم

و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) سورة الكهف أية ١١٠

الباب الثالث والعشرون

ما جاء في السبع الأواخر وطلب ليلة القدر وفضل الاجتهاد في الأعمال

قال الله تعالى: «**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين**»(١)

هذا فيه مدح لأتباع النبى صلى الله عليه وسلم ومن آمن به من أحبار أهل الكتاب بأن هذه الأمة ــ وهم المنعوتون بهذه الصفات ــ أمة قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه ومتبعة نبى الله فهى قائمة، يعنى: مستقيمة «**يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون**» أى: يقومون الليل و يكثرون التهجد و يتلون القرآن في صلواتهم فهم يتهجدون بليلهم سجداً وقياماً، يتلون آيات الله و يتدبرونها، «**و يؤمنون بالله واليوم الأخر، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون في الخيرات**» وفي هذا مدح لهم وتنو يه بذكرهم.

واعلم أن العلماء قد اختلفوا في ليلة القدر اختلافاً كثيراً. والصحيح أنها في شهر رمضان وتختص بالعشر الأواخر منه وليالى الوتر آكد، ولكن اختلف في تعيينها.

ففي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما «**أن رجالاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر. فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر**».

وفي صحيح مسلم عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي**» وقال صلى

(١) سورة آل عمران آية ١١٣ــ١١٤

الله عليه وسلم في حديث عائشة المتفق عليه «**تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان**» وفي رواية للبخاري: «**في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**».

وله أيضا عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان: في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى**».

وفي رواية له: «**هي في العشر؛ في سبع يمضين. أو سبع يبقين**».

وأخرج أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**كم مضى من الشهر؟ قلنا: مضت ثنتان وعشرون وبقى ثمان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا بل مضت ثنتان وعشرون وبقى سبع، اطلبوها الليلة**» .

وأخرج أحمد وغيره حديث أبى بكرة وفيه أنها تطلب في الأوتار و يدل على ذلك حديث عبد الله بن أنيس: «**أنهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك مساء ليلة ثلاث وعشرين. فقال: التمسوها هذه الليلة، فقال رجلٌ من القوم: فهى إذن يارسول الله أولى ثمان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها ليست بأولى ثمان؛ ولكنها أولى سبع إن الشهر لا يتم**» أخرجه أحمد

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فصل

فيما أعد الله لأوليائه من النعيم المقيم في جنات النعيم

قـال تـعـالى: «**تـتـجـافى جـنـوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقـنـاهـم يـنـفـقـون، فـلا تـعـلـم نـفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**»(١)

اعـلـم أن الله تـعـالى أعـد لأ ولـيائه في جناته النعيم المقيم، وجمع لهم فيها بين الأمن والخلود والنعيم والبهجة وأصناف اللذة والسرور.

فـفـي الـصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله عز وجل: اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سـمـعـت، ولا خـطـر على قـلـب بشر. مصداق ذلك في كتاب الله تعالى «فلا تعلم نفس ما أُخفِيَ لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما خلق الله جنة عدنٍ خـلـق فـيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون**» رواه الطبراني.

فنسأل الله تعالى ألا يحرمنا هذا النعيم بذنوبنا، إنه جواد كريم.

---

(١) سورة السجدة أية ١٦ــ١٧

فصــل

في وصف الجنــة

قال في حادى الأرواح ـ بعد سياق هذه الآية «**فلا تعلم نفس ما أُخْفِيَ لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**»: فتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس؟ وكيف قابل قلقهم واضطرابهم على مضاجعهم حتى يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة؟ وقال صلى الله عليه وسلم: «**ألا هل مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة، وخضرة، وحبرة، ونعمة، في محلة عالية بهية**»(١) ولو لم يكن من فضل الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه الله غيرها لكفاها شرفاً وفضلاً، كما في سنن أبى داود عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**».

وكيف يُقْدَرُ قَدْرُ دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرا لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب ونقص؟

فإن سألت عن أرضها وتربتها، فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها، فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهى اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب. وإن سألت عن أشجارها، فما فيها من شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمارها؟ فأمثال القلال، ألين من الزبد، وأحلى من العسل. وإن سألت عن

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان

ورقها؛ فأحسن ما يكون من رقائق الحلل. وإن سألت عن أنهارها؛ فأنهار من لبن لم يتغير طعمه؛ وأنهار من خمر لذة للشاربين؛ وأنهار من عسل مصفى؛ وأنهار من ماء غير آسن. وإن سألت عن طعامهم وشرابهم؛ ففاكهة مما يتخيرون؛ ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور. وإن سألت عن آنيتهم؛ فآنية الذهب والفضة؛ في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها؛ فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام؛ وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام. وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها؛ فإنها تستفز بالطرب من يسمعها. وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة؛ يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها.

وإن سألت عن سعتها؛ فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره و بساتينه مسيرة ألفى عام. وإن سألت عن خيامها وقبابها؛ فالخيمة الواحدة من درة مجوفة؛ طولها ستون ميلا من تلك الخيام. وإن سألت عن علاليها وجواسقها؛ فهي غرف من فوقها غرف مبنية، تجرى من تحتها الأنهار.

وإن سألت عن ارتفاعها؛ فانظر الى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأ بصار. وإن سألت عن لباس أهلها، فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشهم، فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب وإن سألت عن أرائكها فهى الأسرة عليها البشخانات، وهى الحجال مزررة بازرار من الذهب، فمالها فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم، فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم، فأبناء ثلاث وثلاثين، على صورة آدم أبى البشر.

وإن سألت عن سماعهم، فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها، فنجائب أنشأها الله مما شاء، تسير بهم حيث شاءوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ،

وعلى الرءوس ملابس التيجان»[1].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل واعتقاد. وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) أنظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ١٧٤—١٧٨

الباب الرابع والعشرون
في
الحث على الدعاء

قال تعالى في كتابه العزيز ومبرم كلامه البليغ الوجيز «**وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**»(*)

هذا إخبار من الله جل جلاله وتقدست أسماؤه بأنه لا يخيب دعاء داع، ولا يشغله عنه شيء. بل هو سميع الدعاء قريب الإجابة. ففيه الترغيب في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه تعالى.

فروى أبو داود وابن ماجة والترمذي عن سلمان رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً**» أي خائبتين. وصححه الحاكم(١)

وأخرج ابن أبى حاتم عن معاو ية بن حيدة «**أن أعرابيا قال: يارسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عنى فانى قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي) إذا دعوتهم أن يدعونى فدعونى استجبت لهم**»(٢)

فالله تعالى يحب من عباده أن يدعوه و يتقوه و يطيعوه. وقد فتح بابه للطالبين، وحث على دعائه في كتابه المبين، فهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وارحم الراحمين. لا تختلف عليه اللغات، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا يتبرم بإلحاح ذوى الحاجات، ولا تغيض يمينه كثرة النفقات.

(١) انظر بلوغ المرام من ادلة الأحكام حديث رقم ١٥٨٠
(٢) أنظر تفسير ابن كثير ٢١٨/١
(*) سورة البقرة آية ١٨٦

ولهذا يدعو العباد إلى توحيده ومعرفته، و يفرح بتوبة التائب إذا تاب إليه أشد من فرح الفاقد لراحلته التى عليها طعامه وشرابه، وقد ضلت عنه في الأرض المهلكة، إذا أيس منها ثم وجدها.

وعن أبى ذر الغفاري رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرو يه عن ربه عز وجل أنه قال: **«ياعبادي، إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا. ياعبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. ياعبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم. ياعبادى، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم ياعبادى، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفرونى أغفر لكم. ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعوني ياعبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكى شيئا. ياعبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا. ياعبادى، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر. ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»** رواه مسلم **(من موانع إجابة الدعاء)**

واعلم أن الله تعالى قد أمر بالدعاء وتكفل بالإجابة وقد يدعو الإنسان ولا يستجاب له، و يدمن بالإلحاح ولا تقضى حاجته. وهذا إنما أُتي من قبل نفسه، ومن الحجب المانعة من قبول الدعاء، وذلك لأمور:

منها: أكل الحرام ولباسه، فإن هذا يمنع قبول الدعاء كما في حديث صاحب السفر: **«أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يارب، يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»** رواه مسلم

ومنها غفلة القلب. أن يدعو الله وقلبه غافل فقد قال صلى الله عليه وسلم: **«أيها الناس. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة. واعلموا أن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاه»** (رواه الترمذي والحاكم)

ومنها: أن يدعو بإثم وقطيعة رحم

ومنها: أن يستعجل الإجابة و يتحسر. يقول قد دعوت ودعوت فلم أراه يستجاب لى. وقد يختار الله له ما هو خير له وأدلة ذلك كثيرة.

(وللدعاء آداب. وللإجابة أسباب).

فمن آداب الدعاء: أن يرصد به الأوقات الفضيلة كوقت السحر، وآخر ساعة من يوم الجمعة ورمضان وعشر ذى الحجة.

ومنها: أن يثنى على الله في أوله. و يصلي على نبيه في آخره.

ومنها السبب الأعظم، وهو أكل الحلال. وحضور القلب وأن يدعو الله وهو صائم، ولاسيما عند الفطر.

ومنها: الدعاء في السجود. فإن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد.

ومنها: إظهار الخضوع والخشوع والتذلل والمسكنة بين يدى الملك الأعلى، و يدعوه راجيا قبول دعائه، خائفاً من شؤم ذنبه، قد انطرح لباب مولاه وعفر خده بعتبة بابه، وانكسر قلبه وافتقر لربه، جل جلاله، وتقدست أسماؤه. فما أقرب القبول والإجابة، وما أسرع العطف من السيد على عبده إذا رآه بهذه المثابة، وما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور وأحب القلوب إلى الله سبحانه قلب قد انكسر لأجله، فهو ناكس الرأس بين يدي ربه، لا يرفع رأسه حياء وخجلا من الله.

و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الخامس والعشرون

في الحث على التوبــة

إخواني: اختموا شهر رمضان بالتوبة إلى الله من معاصيه. والإنابة اليه بفعل ما يرضيه. فإن الإنسان لا يخلو من الخطأ والتقصير. وكل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وقد حث الله في كتابه وحث النبى صلى الله عليه وسلم في خطابه على استغفار الله تعالى والتوبة اليه فقال سبحانه: «**وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير**»سورة هود آية٣.

وقال تعالى: «**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه**»(١) وقال تعالى: «**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**(٢) وقال سبحانه: «**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار**»(٣) وقال تعالى: «**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**»(٤) والأيات في ذكر التوبة عديدة.

وأما الأحاديث فمنها، عن الأغر بن يسار المزني رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب في اليوم مئة مرة**». رواه مسلم. وعن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنى لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**» رواه البخارى وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه**

---

(١) سورة فصلت ــ آية ٦

(٢) سورة النور ــ آية ٣١

(٣) سورة التحريم ــ آية ٨

(٤) سورة البقرة ــ آية ٢٢٢

وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ. من شدة الفرح». رواه مسلم. وإنما يفرح سبحانه بتوبة عبده لمحبته للتوبة والعفو ورجوع عبده إليه بعد هربه منه، وعن أنس وابن عباس رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لو أن لأ بن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب و يتوب الله على من تاب**» متفق عليه.

فالتوبة هي الرجوع من معصية الله الى طاعته لأنه سبحانه هو المعبود حقاً، وحقيقة العبودية هي التذلل والخضوع للمعبود محبة وتعظيماً، فإذا حصل من العبد شرود عن طاعة ربه فتوبته أن يرجع إليه و يقف ببابه موقف الفقير الذليل الخائف المنكسر بين يديه.

والتوبة واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها ولا التسو يف بها، لأن الله أمر بها ورسوله وأوامر الله ورسوله كلها على الفور والمبادرة لأن العبد لا يدرى ماذا يحصل له بالتأخير، فلعله أن يفجأه الموت فلا يستطيع التوبة، ولأن الإصرار على المعصية يوجب قسوة القلب و بعده عن الله عز وجل وضعف إيمانه، فإن الإيمان يزيد بالطاعات و ينقص بالعصيان، ولأن الإصرار على المعصية يوجب إلفها والتشبث بها، فإن النفس اذا اعتادت على شيء صعب عليها فراقه وحينئذ يعسر عليه التخلص من معصيته و يفتح عليه الشيطان باب معاص أخرى أكبر وأعظم مما كان عليه ولذلك قال أهل العلم وأرباب السلوك: إن المعاصى بريد الكفر ينتقل الإنسان فيها مرحلة مرحلة حتى يزيغ عن دينه كله نسأل الله العافية والسلامة.

والتوبة التي أمر الله بها هي التوبة النصوح التي تشتمل على شرائط التوبة وهي خمسة:

الأول: أن تكون خالصة لله عز وجل بأن يكون الباعث لها حب الله وتعظيمه

ورجاء ثوابه والخوف من عقابه فلا يريد بها شيئاً من الدنيا ولا تزلفاً عند مخلوق، فإن أراد هذا لم تقبل توبته لأنه لم يتب إلى الله وإنما تاب إلى الغرض الذي قصده.

الثاني: أن يكون نادماً حزناً على ما سلف من ذنبه يتمنى أنه لم يحصل منه لأجل أن يحدث له ذلك الندم إنابة الى الله وانكساراً بين يديه ومقتاً لنفسه التي أمرته بالسوء فتكون توبته عن عقيدة و بصيرة.

الثالث: أن يقلع عن المعصية فوراً، فإن كانت المعصية بفعل محرم تركه في الحال، وإن كانت المعصية بترك واجب فعله في الحال إن كان مما يمكن قضاؤه كالزكاة والحج، فلا تصح التوبة مع الإصرار على المعصية فلو قال: إنه تاب من الربا مثلا وهو مستمر على التعامل به لم تصح توبته ولم تكن توبته هذه إلا نوع استهزاء بالله وآياته لا تزيده من الله إلا بعداً ولو تاب من ترك الصلاة مع الجماعة وهو مستمر على تركها لم تصح توبته. وإذا كانت المعصية فيما يتعلق بحقوق الخلق لم تصح التوبة منها حتى يتخلص من تلك الحقوق، فإذا كانت معصيته بأخذ مال للغير أو جحده لم تصح توبته حتى يؤدي المال إلى صاحبه إن كان حياً أو إلى ورثته إن كان ميتا، فإن لم يكن له ورثة أداه إلى بيت المال، وإن كان لا يدرى من صاحب المال تصدق به له والله سبحانه يعلم به، وإن كانت معصيته بغيبة مسلم وجب أن يستحله من ذلك إن كان قد علم بغيبته إياه أو خاف أن يعلم بها وإلا استغفر له وأثنى عليه بصفاته المحمودة في المجلس الذي اغتابه فيه فإن الحسنات يذهبن السيئات.

وتصح التوبة من ذنب مع الاصرار على غيره، لأن الأعمال تتبعض والإيمان يتفاضل، لكن لا يستحق الوصف المطلق للتوبة وما يستحقه التائبون على الإطلاق من الأوصاف الحميدة والمنازل العالية حتى يتوب إلى الله من جميع الذنوب.

الشرط الرابع: أن يعزم على أن لا يعود في المستقبل إلى المعصية لأن هذه ثمرة التوبة ودليل صدق صاحبها فإن قال: إنه تائب وهو عازم أو متردد في فعل المعصية يوماً ما لم تصح توبته لأن هذه توبة مؤقتة يتحين فيها صاحبها الفرص المناسبة ولا تدل على

كراهيته للمعصية وفراره منها إلى طاعة الله عز وجل.

الشرط الخامس: أن لا تكون بعد انتهاء وقت قبول التوبة فإن كانت بعد انتهاء وقت القبول لم تقبل وانتهاء وقت القبول نوعان. عام لكل أحد وخاص لكل شخص بنفسه.

فأما العام فهو طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها لم تنفع التوبة قال الله تعالى: «**يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً**»(١) والمراد ببعض الآيات طلوع الشمس من مغربها فسرها بذلك النبي صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تزال التوبة تقبل حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل. قال ابن كثير: حسن الإسناد وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» رواه مسلم

وأما الخاص فهو عند حضور الأجل فمتى حضر أجل الإنسان وعاين الموت لم تنفعه التوبة ولم تقبل منه قال الله تعالى: «**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن**»(٢) وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر يعني بروحه**» رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن.

ومتى صحت التوبة باجتماع شروطها وقبلت محا الله بها ذلك الذنب الذي تاب منه وإن عظم قال الله تعالى: «**قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**»(٣)

---

(١) سورة الأنعام ـ آية ١٥٨

(٢) سورة النساء ـ آية ١٨

(٣) سورة الزمر ـ آية ٥٣

وهذه الآية في التائبين المنيبين إلى ربهم المسلمين له قال الله تعالى: **«ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً»**(١)

فبادروا رحمكم الله أعماركم بالتوبة النصوح إلى ربكم قبل أن يفجأكم الموت فلا تستطيعون الخلاص.

اللهم وفقنا للتوبة النصوح التي تمحو بها ما سلف من ذنوبنا و يسرنا لليسرى. وجنبنا العسرى واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين في الآخرة والأولى. برحمتك ياأرحم الراحمين. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين(*)

---

(١) سورة النساء ــ آية ١١٠

(*) مجالس شهر رمضان لابن عثيمين ص١٤١

الباب السادس والعشرون
فيما جاء
في ليلة القدر

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم **«إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هى حتى مطلع الفجر»**

قال ابن عباس رضى الله عنهما: **«أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر من شهر رمضان»** ذكره عنه ابن كثير في تفسيره(١)

قال المفسرون: بيت العزة في السماء الدنيا، وفي تسميتها بليلة القدر خمسة وجوه.

أحدها: أن القدر هو العظمة، وهى ليلة عظيمة شريفة.

الثاني: أنه الضيق، فهى ليلة تضيق فيها الأرض من الملائكة الذين ينزلون من السماء.

الثالث: أن القدر هو الحكم. فإن الأشياء تقدر فيها.

الرابع: أن من لم يكن له قدر، يصير بمراعاتها ذا قدر.

الخامس: أنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وملائكة ذوو قدر.

وقوله تعالى: **«خير من ألف شهر»** فيه أقوال.

أحدها: أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح ألف شهر على عاتقه في سبيل الله، فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وقال: هي خير من ألف شهر، التي حمل الإسرائيلي فيها السلاح في سبيل الله تعالى.

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير ٤/٤٢٩

وقال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من ألف شهر.

وقيل قول آخر، وهو أن الرجل كان فيما مضى لا يستحق أن يقال له: عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر، فجعل الله تعالى ليلة القدر خيراً من ألف شهر كانوا يعبدون فيها.

وقيل قول آخر، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أري أعمار من مضى قبل، فرأى أعمار أمته أقصر من أعمار الأمم قبل، فقال: **«لو طالت أعمار أمتى لعملوا مثل ما عملوا، فاعطاه الله تعالى ليلة القدر خيراً من ألف شهر»** التي كان يعبد الله تعالى فيها من كان قبل أمته.

وقيل: إن الألف شهر من هذا الزمان ليس فيها ليلة القدر.

وقوله تعالى **«تنزل الملائكة»** قال أبو هريرة رضى الله عنه: **«الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من الحصى»**

وقوله: (والروح) فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه جبريل. قاله الأكثرون. وهو الصحيح. لأن الله تعالى قال **(نزل به الروح الأمين)** وفي حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة، يصلون و يسلمون على كل عبد قائم أوقاعد يذكر الله عز وجل»** رواه البيهقي في شعب الإيمان

والقول الثاني: أن الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

والقول الثالث: أنه ملك عظيم من الملائكة.

وقوله تعالى: **(بإذن ربهم من كل أمر)** قال المفسرون: تنزل بكل أمر قضاه الله تعالى تلك السنة إلى قابل.

وقوله تعالى: **(سلام هي حتى مطلع الفجر)** أى ليلة القدر سلام. **وفي معنى السلام قولان.**

أحدهما: أنه لا يحدث فيها داء، ولا يرسل فيها الشيطان
والثاني: أن معنى السلام: الخير والبركة(١)

إذا فهمت ذلك، فاعلم أن ليلة القدر ليلةٌ عظيمة شريفة، وأنها باقية لم ترفع على الصحيح، وأنها في رمضان، وأنها في العشر الأواخر منه، ولكن اختلف في تعيينها. وذهب بعضهم إلى أنها ليلة سبع وعشرين. ويدل عليه: ما روى مسلم عن أبي بن كعب أنه كان يحلف على ذلك ولا يستثنى، وكذا زر بن حبيش وعَبَدَةُ بن أبي لبابة.

وروى مسلم أيضاً عن أبي بن كعب قال: «إني والله لأعلم أى ليلة هي ليلة القدر، هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين».

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين ـ أو قال: تحروها ليلة سبع وعشرين ـ يعني ـ ليلة القدر»

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما «أن رجلا قال: يارسول الله، إني شيخ كبير عليل يشق على القيام، فمرني بليلة يوفقني الله فيها لليلة القدر، فقال عليك بالسابعة والعشرين» واسناده على شرط البخارى.

ومما يدل على ذلك أيضاً: قيام النبى صلى الله عليه وسلم في أصحابه في ليلة سبع وعشرين إلى آخر الليل، حتى خشوا أن يفوتهم السحور. كما في الحديث الذي رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي.

ويدل عليه أيضاً «أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع أهله وجمع الناس ليلة سبع وعشرين» وهذا كله يدل على تأكدها على سائر ليالى العشر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

(١) انظر تفسير ابن الجوزي ٨١/٩
وقرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة ص٢٦٨

(فصــل)
في فضل ليلة القدر

قال الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم «**حم. والكتاب المبين، إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم، أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين**» سورة الدخان أية١ــ٥

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عز وجل «**إنا أنزلناه في ليلة القدر**»، وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى: «**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**» سورة البقرة أية ١٨٥. وهذا قسم بالقرآن على القرآن. فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله (في ليلة مباركة) أي كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فأنزل أفضل الكلام في أفضل الليالى والأيام على أفضل الأنام بلغة العرب الكرام لينذر به قوماً عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره، و يقتبسوا من هداه و يسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الأخروي. ولهذا قال «**إنا كنا منذرين**» أي معلمين الناس ما ينفعهم و يضرهم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده.(فيها) أي في ليلة القدر الفاضلة التي أنزل فيها القرآن (يفرق كل أمر حكيم) أي يفصل ويميز و يكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به من الأرزاق والآجال وغير ذلك. وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتنائه تعالى بخلقه[1]

---

(١) أنظر تفسير ابن كثير ١٣٧/٤
وتفسير ابن سعدي ١٣٣/٧ ط١

أسباب المغفرة في رمضان

ينبغي للعبد أن يلح على الله بالدعاء والأستغفار، فإن الاستغفار ختام الأعمال كلها، فيختم به الصلاة والحج وقيام الليل، ويختم به المجالس، وشهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران، فمن أسباب المغفرة فيه، صيامه وقيامه وقيام ليلة القدر، فقد قال ابن المنذر في قيام ليلة القدر إنه يرجى به مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها، والجمهور على أن الكبائر لابد لها من توبة نصوح.

وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»** وفي رواية النسائى: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**.

ومن أسباب المغفرة: تفطير الصوام والتخفيف عن المملوك، كما أفاده حديث سلمان المرفوع.

ومنها: الذكر، ففي حديث مرفوع: **«ذاكر الله في رمضان مغفور له»** رواه الطبرانى في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان.

ومنها: الاستغفار، والاستغفار طلب المغفرة، ودعاء الصائم مستجاب في صيامه وعند فطره، ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما، إذا أفطر يقول: **«اللهم ياواسع المغفرة أغفر لي»**.

ومنها: استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا.

فلما كثرت أسباب المغفرة في رمضان كان الذي تفوته المغفرة فيه محروماً غاية الحرمان.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه: **«أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: آمين. آمين. آمين، قيل يارسول الله: إنك صعدت المنبر فقلت: آمين. آمين. آمين، فقال: إن جبريل أتانى فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل**

النار فأبعده الله. قل: آمين. فقلت: آمين. ومن أدرك أبوية أو أحدهما فلم يبرهما. فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين. فقلت: آمين. ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله. قل: آمين. فقلت آمين»[1] رواه ابن حبان في صحيحه وابن خزيمة.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

(١) أنظر الترغيب والترهيب ٢/٢١٦

الباب السابع والعشرون
في
الاهتمام لقبول العمل

قال الله تعالى: **«والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون».** سورة المؤمنون آية ٦٠ــ٦١

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: **(سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الأ ية «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة» هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا، يابنة الصديق. ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم. أولئك الذين يسارعون في الخيرات)** رواه الترمذي وابن ماجه.

كان السلف الصالح يهتمون لقبول العمل بعد أدائه.

قال عبد العزيز بن أبى رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم: أيقبل منهم أم لا؟ وقد قال تعالى: **«وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله»**(١) فمن كرمه أنه يقبل التوبة ممن تاب إليه ويعفوعما سلف منه ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فياإخواني: الله الله في الاجتهاد لترضوا ربكم.

أخرج البخاري عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»** رواه مسلم عن أبى هريرة بمثله.

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: **«من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»**(٢)

---

(١) سورة الشورى آية ٢٥ــ٢٦

(٢) رواه النسائي

واعلم أن أفضل القيام والقراءة ما كان على تدبر ودعاء وتفكر وترتيل كما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه «كان يتهجد في ليالى رمضان و يقرأ قراءة مرتلة مترسلا» وهو أفضل الأعمال وأكملها في ليالى العشر وغيرها.

وروى عن عائشة رضى الله عنها: أنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم قالت: **«إن وافيت ليلة القدر ما أقول؟ قال: قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى»**(١)

واعلم أنه يستحب الدعاء في هذه الليالى المباركة، وفى هذه الليلة خاصة.

و بالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه

فصـــل
فيما جاء في أنهار الجنة

قـال الله تـعـالى: «**إن الأ بـرار يـشـر بـون مـن كـأس كان مزاجها كافورا، عينا يـشرب بهـا عـباد الله يفجرونها تفجيرا**»(١) وقال تعالى: «**يسقون من رحيق مختوم ختـامه مسك. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. ومزاجه من تسنيم. عينا يشرب بها المقربون**»(٢)

قـال في حـادي الأ رواح بـعـد سيـاق هـذه الأ ية «**مثل الجنة التي وعد المتقون، فـيـها أنـهـار من مـاء غير آسـنٍ، وأنـهـار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشـاربين، وأنـهـار من عـسـل مـصـفـى، ولهـم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم**»(٣)

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأ ربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الـدنـيـا، فآفـة المـاء أن يـأسـن و يـأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحـموضة، و يصير قابضا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافية للذة شر بها، وآفة العسل عدم تصفيته. وهذا من آيات الرب تعالى: أن أجرى أنهارا من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بـإجـرائـهـا، ويجريها في غير أخدود، و ينفى عنها الآفات التى تمنع كمال اللذة بها. كما نـفـى عـن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا: من الصداع، والغول واللغو، والإنزاف، وعدم اللذة.

---

(١) سورة الإنسان آية ٥ـــ٦

(٢) سورة المطففين آية ٢٥ـــ٢٨

(٣) سورة محمد آية ١٥

من آفات الخمر وأضرارها

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل، وتكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتذهب الغيرة وتورث الخزى والندامة والفضيحة، وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان، وهم المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات. وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس، وإفشاء السر الذى في إفشائه مضرته وإهلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذى جعله الله قياما له ولمن يلزمه مؤونته، وتهتك الأستار، وتظهر الأسرار وتدل على العورات، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم، وتخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن. وكم أهاجت من حرب، وأفقرت من غني، وأذلت من عزيز، و وضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، ونسخت مودة، ونسجت عداوة. وكم فرّقت بين رجل وحبه، فذهبت بقلبه وراحت بلبه. وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة. وكم أغلقت في وجه شاربها بابا من الخير، وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بلية، وعجّلت من منية، وكم أورثت من خزية، وجرّت على شاربها من محنة، وجرّأت عليه من سفلة. فهي جماع الإثم، ومفتاح الشر، وسلاّبة النعم وجلاّبة النقم. ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة**»(١) لكفى (٢)

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

---

(١) إذا لم يتب عن شربها. رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وفي هذا وعيد بأنه لا يدخل الجنة لأن شراب أهل الجنة خمر (أنظر الترغيب والترهيب ٤/٣٢).

(٢) أنظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص١١٣–١١٤

الباب الثامن والعشرون
في زكاة الفطــر(١)

الحمـد لله العـليـم الحـكيم. العلى العظيم. خلق كل شيء فقدره تقديراً. وأحكم شـرائعه ببالغ حكمته بياناً للخلق وتبصيراً. أحمده على صفاته الكاملة. وأشكره على آلائه السـابغـة. وأشـهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهوعلى كل شيء قـديـر. وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المآب والمصير وسلم تسليما.

إخـواني: إن شهركم الكريم قد عزم على الرحيل ولم يبق منه إلا الزمن القليل فمن كان منكم محسناً فليحمد الله على ذلك وليسأله القبول ومن كان منكم مهملاً فليتب إلى الله وليعتذر من تقصيره فالعذر قبل الموت مقبول.

إخـوانـى: إن الله شـرع لـكـم في خـتام شهركم هذا أن تؤدوا زكاة الفطر قبل صلاة الـعيد وسنتكلم في هذا المجلس عن حكمها وحكمتها وجنسها ومقدارها ووقت وجوبها ودفعها ومكانها.

فـأمـا حـكمها فإنها فريضة فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين، وما فـرضـه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر به فله حكم ما فرضه الله تعالى أو أمر به قال الله تـعـالى «**من يـطـع الـرسـول فـقـد أطـاع الله ومـن تـولى فـمـا أرسـلـنـاك عليهم حـفيظاً**»(٢) وقال تعالى: «**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبـيـل الـمؤمـنين نـولـه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**»(٣) وقال تعالى: «**وما آتـاكـم الـرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**»(٤) وهي فريضة على الكبير والصغير والـذكـر والأنـثى والحـر والعبد من المسلمين قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فرض رسـول الله صلى الله عـلـيـه وسلم «**زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين**». متفق عليه.

(١) من مجالس شهر رمضان للشيخ محمد الصالح العثيمين
(٢) سورة النساء ــ أية ٨٠
(٣) سورة النساء ــ أية ١١٥
(٤) سورة الحشر ــ أية ٧

ولا تجب عن الحمل الذي في البطن إلا أن يتطوع بها فلا بأس فقد كان أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه يخرجها عن الحمل. ويجب إخراجها عن نفسه وكذلك عمن تلزمه مؤونته من زوجة أو قريب إذا لم يستطيعوا إخراجها عن أنفسهم فإن استطاعوا فالأولى أن يخرجوها عن أنفسهم لأنهم المخاطبون بها أصلا ولا تجب إلا على من وجدها فاضلة زائدة عما يحتاجه من نفقة يوم العيد وليلته فإن لم يجد إلا أقل من صاع أخرجه لقوله تعالى: «**فاتقوا الله ما استطعتم**»(١) وقول النبى صلى الله عليه وسلم: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم. متفق عليه.

وأما حكمتها فظاهرة جداً ففيها إحسان إلى الفقراء وكف لهم عن السؤال في أيام العيد ليشاركوا الأغنياء في فرحهم وسرورهم به و يكون عيدا للجميع وفيها الاتصاف بخلق الكرم وحب المواساة وفيها تطهير الصائم مما يحصل في صيامه من نقص ولغو وإثم وفيها إظهار شكر نعمة الله باتمام صيام شهر رمضان وقيامه وفعل ما تيسر من الأعمال الصالحة فيه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «**فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات**» رواه أبو داود وابن ماجة .

وأما جنس الواجب في الفطرة فهو طعام الآدميين من تمر أو بر أو رز أو زبيب أو أقط أو غيرها من طعام بنى آدم، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير وكان الشعير يومذاك من طعامهم كما قال أبو سعيد الخدري رضى الله عنه: كنا نخرج يوم الفطر في عهد النبى صلى الله عليه وسلم صاعا من طعام وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر رواه البخارى.

فلا يجزىء إخراج طعام البهائم لأن النبى صلى الله عليه وسلم فرضها طعمة

(١) سورة التغابن من آية ١٦

للمساكين لا للبهائم.

ولا يجزىء إخراجها من الثياب والفرش والأواني والأمتعة وغيرها مما سوى طعام الآدميين لأن النبي صلى الله عليه وسلم فرضها من الطعام فلا تتعدى ما عينه الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولا يجزىء إخراج قيمة الطعام لأن ذلك خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد، وفي رواية من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** رواه مسلم. وأصله في الصحيحين ومعنى رد مردود. ولأن إخراج القيمة مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم حيث كانوا يخرجونها صاعا من طعام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»** ولأن زكاة الفطر عبادة مفروضة من جنس معين فلا يجزىء إخراجها من غير الجنس المعين كما لا يجزىء إخراجها في غير الوقت المعين. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم عينها من أجناس مختلفة وأقيامها مختلفة غالباً فلو كانت القيمة معتبرة لكان الواجب صاعا من جنس وما يقابل قيمته من الأجناس الأخرى. ولأن إخراج القيمة يخرج الفطرة عن كونها شعيرة ظاهرة إلى كونها صدقة خفية فإن إخراجها صاعا من طعام يجعلها ظاهرة بين المسلمين معلومة للصغير والكبير يشاهدون كيلها وتوزيعها و يتبادلونها بينهم بخلاف ما لو كانت دراهم يخرجها الإنسان خفية بينه و بين الآخذ، وأما مقدار الفطرة فهو صاع بصاع النبي صلى الله عليه وسلم الذي يبلغ وزنه بالمثاقيل أربعمائة وثمانين مثقالا من البر الجيد و بالغرامات كيلوين اثنين وخمسي عشر كيلو من البر الجيد وذلك لأن زنة المثقال أربعة غرامات وربع فيكون مبلغ أربعمائة وثمانين مثقالا ألفي غرام وأربعين غراما. فإذا أراد أن يعرف الصاع النبوي فليزن كيلوين وأربعين غراما من البر و يضعها في إناء بقدرها بحيث تملؤه ثم يكيل به.

وأما وقت وجوب الفطرة فهو غروب الشمس ليلة العيد، فمن كان من أهل الوجوب

حينئذاك وجبت عليه وإلا فلا وعلى هذا فإذا مات قبل الغروب ولو بدقائق لم تجب الفطرة وإن مات بعده ولو بدقائق وجب إخراج فطرته ولو ولد شخص بعد الغروب ولو بدقائق لم تجب فطرته، لكن يسن إخراجها كما سبق وإن ولد قبل الغروب ولو بدقائق وجب إخراج الفطرة عنه.

وانما كان وقت وجوبها غروب الشمس من ليلة العيد لأنه الوقت الذي يكون به الفطر من رمضان وهي مضافة إلى ذلك فإنه يقال: زكاة الفطر من رمضان فكان مناط الحكم ذلك الوقت.

وأما زمن دفعها فله وقتان: وقت فضيلة و وقت جواز.

فأما وقت الفضيلة: فهو صباح العيد قبل الصلاة لما في صحيح البخاري من حديث أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال: كنا نخرج في عهد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعا من طعام. وفيه أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة. ورواه مسلم وغيره

وقال ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدى صلاته فإن الله يقول: «**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**»(١) ولذلك كان من الأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج الفطرة. وأما وقت الجواز فهو قبل العيد بيوم أو يومين ففي صحيح البخارى عن نافع قال: كان ابن عمر يعطى عن الصغير والكبير حتى إن كان يعطي عن بنيَّ وكان يعطيها الذين يقبلونها وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو بيومين.

ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد فإن أخرها عن صلاة العيد بلا عذر لم تقبل منه لأنه خلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سبق من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.

---

(١) سورة الأعلى آية ١٤ــ١٥

أما إن أخرها لعذر فلا بأس، مثل أن يصادفه العيد في البرليس عنده ما يدفع منه أو ليس عنده من يدفع إليه. أو يأتي خبر ثبوت العيد مفاجئاً بحيث لا يتمكن من إخراجها قبل الصلاة أو يكون معتمدا على شخص في إخراجها فينسى أن يخرجها فلا بأس أن يخرجها ولو بعد العيد لأنه معذور في ذلك.

والواجب أن تصل إلى مستحقها أو وكيله في وقتها قبل الصلاة، فلو نواها لشخص ولم يصادفه ولا وكيله وقت الإخراج فإنه يدفعها إلى مستحق آخر ولا يؤخرها عن وقتها.

وأما مكان دفعها فتدفع إلى فقراء المكان الذي هو فيه وقت الإخراج سواء كان محل إقامته أو غيره من بلاد المسلمين لا سيما إن كان مكانا فاضلا كمكة والمدينة أو كان فقراؤه أشد حاجة فإن كان في بلد ليس فيه من يدفع إليه أو كان لا يعرف المستحقين فيه وَكَّلَ من يدفعها عنه في مكان فيه مستحق.

والمستحقون لزكاة الفطر هم الفقراء ومن عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها فيعطون منها بقدر حاجتهم ويجوز توزيع الفطرة على أكثر من فقير ويجوز دفع عدد من الفطر إلى مسكين واحد، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدر الواجب ولم يقدر من يدفع إليه، وعلى هذا لو جمع جماعة فِطَرهُم في وعاء واحد بعد كيلها وصاروا يدفعون منه بلا كيل ثان أجزأهم ذلك، لكن ينبغي إخبار الفقير بأنهم لا يعلمون مقدار ما يدفعون إليه لئلا يغتر به فيدفعه عن نفسه وهو لا يدرى عن كيله. ويجوز للفقير إذا أخذ الفطرة من شخص أن يدفعها عن نفسه أو أحد من عائلته إذا كالها أو أخبره دافعها أنها كاملة و وثق بقوله.

اللهم وفقنا للقيام بطاعتك على الوجه الذي يرضيك عنا وزك نفوسنا وأقوالنا وأفعالنا وطهرنا من سوء العقيدة والقول والعمل إنك جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباب التاسع والعشرون
في ختام الشهر [1]

إخواني: إن شهر رمضان قرب رحيله وأزف تحويله وإنه شاهد لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال، فمن أودعه عملاً صالحا فليحمد الله على ذلك وليبشر بحسن الثواب، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ومن أودعه عملا سيئا فليتب إلى ربه توبة نصوحا فإن الله يتوب على من تاب. ولقد شرع الله لكم في ختام شهركم عبادات تزيدكم من الله قربا وتزيد في إيمانكم قوة وفي سجل أعمالكم حسنات فشرع الله لكم زكاة الفطر وتقدم الكلام عليها مفصلا، وشرع لكم التكبير عند إكمال العدة من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد قال الله تعالى: **«ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**[2]) وصفته أن يقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، و يسن جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت إعلانا بتعظيم الله واظهاراً لعبادته وشكره، و يُسِر به النساء لأنهن مأمورات بالتستر والإسرار بالصوت. ما أجمل حال الناس وهم يكبرون الله تعظيما وإجلالا في كل مكان عند انتهاء شهر صومهم، يملأون الأفاق تكبيراً وتحميداً وتهليلا يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، وشرع الله سبحانه لعباده صلاة العيد يوم العيد وهي من تمام ذكر الله عز وجل، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أمته رجالا ونساء، وأمره مطاع لقوله تعالى: **«يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم»**[3]) وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم النساء أن يخرجن إلى صلاة العيد مع أن البيوت خير لهن فيما عدا هذه الصلاة.

وهذا دليل على تأكيدها، قالت أم عطية رضى الله عنها: **«أمرنا رسو الله صلى الله**

---

(١) المصدر السابق ص١٤٦
(٢) سورة البقرة أية ١٨٥
(٣) سورة محمد أية ٣٣

عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق والحُيَّض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن المصلى و يشهدن الخير ودعوة المسلمين. قلت: يارسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: لتلبسها أختها من جلبابها»متفق عليه. الجلباب لباس تلتحف فيه المرأة بمنزلة العباءة.

ومن السنة أن يأكل قبل الخروج إلى الصلاة في عيد الفطر تمرات وترا ثلا ثا أو خمساً أو أكثر من ذلك يقطعها على وتر لقول أنس بن مالك رضى الله عنه: «**كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات و يأكلهن وترا»**. رواه أحمد والبخاري. ويخرج ماشيا لا راكبا إلا من عذر كعجز و بعد لقول على بن أبى طالب رضى الله عنه: «**من السنة أن يخرج إلى العيد ماشيا»**. رواه الترمذي وقال: حديث حسن. و يسن للرجل أن يتجمل و يلبس أحسن ثيابه كما في صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «**أخذ عمر جبة من إستبرق ــ أى حرير ــ تباع في السوق فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله ابتع هذه يعنى اشترها تجمل بها للعيد والوفود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما هذه لباس من لا خلاق له وإنما قال ذلك لكونها حريراً»**. ولا يجوز للرجل أن يلبس شيئا من الحرير أو شيئا من الذهب لأنهما حرام على الذكور من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأما المرأة فتخرج إلى العيد غير متجملة ولا متطيبة ولا متبرجة ولا سافرة لأنها مأمورة بالتستر منهية عن التبرج بالزينة وعن التطيب حال الخروج.

و يؤدي الصلاة بخشوع وحضور قلب، و يكثر من ذكر الله ودعائه و يرجو رحمته، ويخاف عذابه، و يتذكر باجتماع الناس في الصلاة على صعيد المسجد اجتماع الناس في المقام الأعظم بين يدي الله عز وجل في صعيد يوم القيامة، و يرى إلى تفاضلهم في هذا المجتمع فيتذكر به التفاضل الأكبر في الآخرة قال الله تعالى «**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**»(٤) وليكن فرحا بنعمة الله

---

(٤) سورة الإسراء ــ أية ٢١

عليه بادراك رمضان وعمل ما تيسر فيه من الصلاة والصيام والقراءة والصدقة وغير ذلك من الطاعات فإن ذلك خير من الدنيا وما فيها «**قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**»(٥) فإن صيام رمضان وقيامه إيماناً واحتساباً من أسباب مغفرة الذنوب والتخلص من الآثام، فالمؤمن يفرح بإكمال الصوم والقيام، لتخلصه به من الآثام، وضعيف الإيمان يفرح بإكماله لتخلصه من الصيام الذي كان ثقيلا عليه ضائقا به صدره، والفرق بين الفريقين عظيم.

إخواني: إنه وإن انقضى شهر رمضان فإن عمل المؤمن لا ينقضى قبل الموت قال الله عز وجل «**وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين**»(٦) وقال تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**»(٧) وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «**إذا مات العبد انقطع عمله**». فلم يجعل لانقطاع العمل غاية إلا الموت فلئن انقضى صيام شهر رمضان فإن المؤمن لن ينقطع من عبادة الصيام بذلك، فالصيام لا يزال مشروعا ولله الحمد في العام كله. ففي صحيح مسلم من حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر**» وصيام ثلا ثة أيام من كل شهر قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم «**ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله**». رواه أحمد ومسلم. وقال أبو هريرة رضى الله عنه: أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث وذكر منها صيام ثلا ثة أيام من كل شهر. والأ ولى أن تكون أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، لحديث أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلا ثة فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**». رواه أحمد والنسائى. وفي صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفه فقال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**» وسئل عن صيام

(٥) سورة يونس ـــ أية ٥٨
(٦) سورة الحجر ـــ أية ٩٩
(٧) سورة آل عمران ـــ أية ١٠٢

عـاشـوراء فقال: «**يكفر السنة الماضية**». وسئل عن صوم يوم الأ ثنين فقال: «**ذاك يوم ولـدت فـيـه و يوم بعثت فيه وأنزل عليّ فيه**». وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عـنـه أن الـنبى صلى الله عليه وسلم سئل: أى الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ قال: «**أفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم**»، وفي الصحيحين عن عـائشة رضى الله عنها قالت «**ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم استكمل شهراً قط إلا شـهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان وفي لفظ: كان يصومه إلا قـلـيـلا وعـنـهـا رضى الله عنها قالت: «كان النبى صلى الله عليه وسلم يتحرى صـيـام الا ثـنين والخميس**» رواه الخمسة إلا أبا داود فهو له من حديث أسامة بن زيد. وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**تعرض الأعمال يوم الا ثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**» رواه الترمذى.

ولـئن انقضى قيام شهر رمضان فإن القيام لا يزال مشروعا ولله الحمد في كل ليلة من ليالى السنة ثابتاً من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله، ففى صحيح البخارى عن المـغـيـرة بـن شـعـبة رضى الله عنه قال: «**إن كان النبى صلى الله عليه وسلم ليقوم أو لـيـصلى حـتى تَرِمَ قدماه، فيقال له فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وعن عبد الله بـن سـلام رضى الله عـنـه أن الـنـبـى صلى الله عـلـيه وسلم قال: أيها الناس أفشوا الـسـلام وأطـعـموا الطعام وصلوا الأ رحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بـسلام**» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عـنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل. وصلاة اللـيل تشمل التطوع كله والوتر فيصلى مثنى مثنى فإذا خشى الصبح صلى واحدة فأوترت ما صلى.

وفي الـصحيحين عن أبى هريرة رضى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**ينزل ر بـنـا تـبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟**»

والرواتب التابعة للفرائض اثنتا عشرة ركعة أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل صلاة الفجر. فعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة تطوعا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة وفي لفظ من صلى ثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بهن بيت في الجنة»**. رواه مسلم.

والذكر أدبار الصلوات الخمس أمر الله به في كتابه وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: **«فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم»**(٨)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم استغفر ثلاثاً وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام. وقال النبي صلى الله عليه وسلم **«من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المئة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»** رواه مسلم

فاجتهدوا إخواني في فعل الطاعات واجتنبوا الخطايا والسيئات لتفوزوا بالحياة الطيبة في الدنيا والأجر الكثير بعد الممات قال الله عز وجل: **«من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»**(٩) .

اللهم ثبتنا على الإيمان والعمل الصالح وأحينا حياة طيبة والحقنا بالصالحين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(٨) سورة النساء ــ أية ١٠٣
(٩) سورة النحل ــ أية ٩٧

الباب الثلاثون
في
وداع شهر رمضان

قال الله تعالى: «**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**»(١)

قال ابن رجب رحمه الله تعالى: لما كانت المغفرة والعتق كل منهما مرتبا على صيام رمضان وقيامه. أمر الله تعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال: «**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**» فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام، وإعانتهم عليه ومغفرته لهم به وعتقهم من النار ـ أن يذكروه و يشكروه و يتقوه حق تقاته.

وقد فسر ابن مسعود رضي الله عنه: «**اتقوا الله حق تقاته**» بأن يطاع فلا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر.

فيا أرباب الذنوب العظيمة. الغنيمة الغنيمة، في هذه الأيام الكريمة، فما منها عوض ولالها قيمة، فمن يُعتَق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة والمنحة الجسيمة.

يامن أعتقه مولاه من النار، إياك أن تعود بعد أن صرت حراً إلى رق الأوزار، أيبعدك مولاك من النار وتتقرب إليها؟ و ينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها؟ ينبغي لمن يرجو العتق في شهر رمضان من النار أن يأتي بأسباب توجب العتق من النار، وهي متيسرة في هذا الشهر.

وفي حديث سلمان الفارسى المرفوع الذي في صحيح ابن خزيمة: «**من فطر صائماً كان عتقاً له من النار، ومن خفف فيه عن مملوكه كان له عتقاً من النار**» وفيه أيضاً: «**فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين**

(١) سورة البقرة آية ١٨٥

لا غنى لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار، وأما اللتان لا غنى لكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتستعيذون به من النار» فهذه الخصال الأربع المذكورة في الحديث كل منها سبب للعتق والمغفرة.

فأما كلمة التوحيد فإنها تهدم الذنوب وتمحوها محوا، ولا تبقي ذنباً ولا يسبقها عمل وهى تعدل عتق الرقاب الذى يوجب العتق من النار. ومن أتى بها أربع مرار حين يصبح وحين يمسى أعتقه الله من النار، ومن قالها مخلصا من قلبه حرمه الله على النار.

وأما كلمة الاستغفار فمن أعظم أسباب المغفرة، فإن الاستغفار دعاء بالمغفرة ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره. وقد سبق حديث أبى هريرة المرفوع: **«و يغفر فيه ــ يعنى شهر رمضان ــ إلا لمن أبى قالوا: ياأبا هريرة، ومن أبى؟ قال: من أبى أن يستغفر الله عز وجل»**(١)

قال الحسن: أكثروا من الاستغفار، فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة.

وقال لقمان لابنه: يابنى، عود لسانك الاستغفار، فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلا. وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في قوله: **«فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك»** وفي بعض الآثار: أن إبليس قال أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار، والاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فيختم به الصلاة والحج وقيام الليل، ويختم به المجالس، فإن كانت ذكرا كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوا كان كفارة لها، فكذلك ينبغى أن يختم صيام رمضان بالاستغفار.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار، وصدقة الفطر، فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، والاستغفار يرقع ما تَخرَّقَ من الصيام باللغو والرفث.

---

(١) ذكره ابن رجب في اللطائف ص٢٢٥

ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين: إن صدقة الفطر للصائم كسجدتى السهو للصلاة.

وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه: قولوا كما قال أبوكم آدم: «**ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**»(١)

وقولوا كما قال نوح عليه السلام: «**وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين**»(٢)

وقولوا كما قال موسى عليه السلام: «**رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى**»(٣)

وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام: «**لا إله إلا انت سبحانك إنى كنت من الظالمين**»(*)

واعلم أن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم حر، ذكر وأنثى، كبير وصغير.

وتجب على السيد عن عبده. بشرط أن تكون فاضلة عن قوته وقوت من يمونه يوم العيد وليلته، وهى صاع من بر، أو صاع من شعير، أو صاع من تمر، أو صاع من زبيب، أو صاع من أقط، ويجزىء كل حب وثمر يقتات، ولا يجزىء الردىء قال الله تعالى: «**ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون. ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه**»(٤) معنى ذلك أنه لو اهدى لمخرج الردىء مثل الردىء الذى أخرجه صدقة لم يأخذه إلا حياء وإغماضا.

ومصرفها مصرف الزكاة، فتدفع الفطرة(٥) إلى الفقراء وأهل الزكاة و يستحب إخراجها عن الجنين الذي في البطن، فإن لم يكن عنده ما يكفي من يمونه، فإنه يبدأ بنفسه ثم بزوجته ثم رقيقه ثم أمه ثم أبيه ثم ولده، ثم الأقرب فالأقرب في الميراث. ويجوز تقديمها قبل العيد بيوم أو بيومين. والأفضل إخراجها يوم العيد قبل الصلاة. وتجب

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٣

(٢) سورة هود آية ٤٧

(٣) سورة القصص آية ٦

(*) أنظر لطائف المعارف لابن رجب ص٢٢٦-٢٢٨

(٤) سورة البقرة آية ٢٦٧

(٥) الفطرة زكاة الفطر.

بغروب الشمس ليلة عيد الفطر فما كان بعد الغروب فلا يجب له فطره .

فهذا بعض ما يتعلق بالأسباب الجالبة لقبول الصيام والراقعة لخروقه.

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يرضى به عنا إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

العـيد

العيد هو موسم الفرح والسرور وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا أنما هو بمولاهم إذا فازوا باكمال طاعته وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته كما قال تعالى: **«قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون»** سورة يونس آية ٥٨.

قال بعض العارفين: ما فرح أحد بغير الله إلا لغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه والعاقل يفرح بمولاه.

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال: **«ان الله قد ابدلكم يومين خيراً منهما يوم الفطر والأضحى»** أخرجه أبو داود والنسائى باسناد صحيح. والحديث دليل على أن اظهار السرور في العيدين مندوب وان ذلك من الشريعة فيجوز التوسعة على العيال في الأعياد بما يحصل لهم من ترويح البدن وبسط النفس مما ليس بمحظور ولا شاغل عن طاعة الله.

وأما ما يفعله كثير من الناس في الأعياد من التوسع في الملاهى والملاعب فلا يجوز لأن ذلك خلاف ما شرع لهم من اقامة ذكر الله فليست الأعياد للهو واللعب والاضاعة وانما هي لاقامة ذكر الله والاجتهاد في الطاعة. فأبدل الله هذه الأمة بيومي اللعب واللهو يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو.

ففي الدنيا للمؤمنين ثلا ثة أعياد: عيد يتكرر كل أسبوع وعيدان يأتيان في كل عام مرة من غير تكرار في السنة.

فأما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الأسبوع وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبات وهي أعظم اركان الإسلام ومبانيه بعد الشهادتين.

واما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما يأتى كل واحد منهما في العام مرة واحدة فأحدهما. عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال صيام رمضان وهو

الركن الرابع من أركان الإسلام ومبانيه فاذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم إستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب وآخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب اكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفى الصائمون فيه أجر صيامهم و يرجعون من عيدهم بالمغفرة.

والعيد الثاني عيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلهما وهو مترتب على إكمال الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام ومبانيه فاذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم.

فهذه أعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند اكمال طاعة مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من الأجر والثواب(١)

هدي النبى صلى الله عليه وسلم في العيد:

كان يلبس أجمل ثيابه و يأكل في عيد الفطر قبل خروجه تمرات و يأكلهن وتراً ــ ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً.

وأما في عيد الأضحى فلا يأكل حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته.

وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ليتسع الوقت قبلها لتوزيع الفطرة و يعجل صلاة عيد الأضحى ليتفرغ الناس بعدها لذبح الأضاحي. قال تعالى: **«فصل لربك وانحر»**.سورة الكوثر آية٢

وكان ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة لا يخرج لصلاة العيد حتى تطلع الشمس و يكبر من بيته إلى المصلى.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبدأ بالصلاة قبل الخطبة فيصلى ركعتين يكبر في الأولى سبعاً متوالية بتكبيرة الإحرام و يسكت بين كل تكبيرتين سكتة يسيرة ولم يحفظ عنه ذكر معين بين التكبيرات ولكن ذكر عن ابن مسعود أنه قال: يحمد الله و يثني عليه و يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) أنظر لطائف المعارف لابن رجب ص٢٨٥ــ٢٨٨

وكان ابن عمر يرفع يديه مع كل تكبيرة.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتم التكبير أخذ في القراءة فقرأ في الأولى الفاتحة ثم **«ق»** وفي الثانية **«اقتربت»** وربما قرأ فيها بـ**«سبح»** و**«الغاشية»**. فإذا فرغ من القراءة كبر وركع ثم يكبر في الثانية خمساً متوالية ثم أخذ في القراءة فاذا انصرف قام مقابل الناس وهم جلوس على صفوفهم فيعظهم و يأمرهم و ينهاهم.

وكان يخالف الطريق يوم العيد فيذهب من طريق و يرجع من آخر.(١)

وكان يغتسل للعيدين، وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبه كلها بالحمد وقال: **«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم»** رواه أحمد وغيره. وعن ابن عباس رضى الله عنهما **«أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى يوم العيد ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما»** أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما.

والحديث دليل على أن صلاة العيد ركعتين وفيه دليل على عدم مشروعية النافلة قبلها و بعدها في موضعها. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(*)

(*) من رسالة رمضان للمؤلف عبد الله الجار الله ص٩٥

(١) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد جزء١ ص٢٥٠ـ٢٥٤ لابن القيم رحمه الله تعالى.

أدعية جامعة نافعة لا يستغنى عنها

قال الله تعالى: «**وقال ربكم ادعوني استجب لكم**» سورة غافر آية ٦٠

وقال صلى الله عليه وسلم: «**الدعاء هو العبادة**» رواه أصحاب السنن الأربعة.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام اجعلنا وجميع المسلمين ممن صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر برحمتك ياأرحم الراحمين.

اللهم يادائم الخير والاحسان يامن كل يوم هو في شأن يامن لا تنفعه الطاعة ولا يضره العصيان اجعلنا فائزين منك بالمغفرة والرضوان حائزين لأسباب السلامة والفوز والعتق من النيران.

اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر الفضيل وخصنا فيه بالأجر الوافر والعطاء الجزيل.

اللهم اجعلنا ممن صام الشهر واستكمل الأجر وادرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب تبارك وتعالى.

اللهم ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام يامجيب دعوة المضطر إذا دعاك نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار.

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره و باطنه وأوله وآخره وعلانيته وسره يامالك الملك ياقادراً على كل شيء يامجيب دعوة المضطر إذا دعاك.

اللهم ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك

الصالحون، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ونسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار ونسألك بوجهك الجنة ونعوذ بوجهك من النار.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هوعصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير والموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا و بين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أبقيتنا.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ومن درك الشقاء ومن سوء القضاء ومن شماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال.

اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك و بطاعتك عن معصيتك و بفضلك عمن سواك ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام.

اللهم اعتق رقابنا من النار وأوسع لنا من الرزق الحلال واصرف عنا فسقة الجن والأنس ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام.

اللهم ارحم في الدنيا غربتنا وارحم في القبر وحشتنا وارحم في الآخرة وقوفنا بين يديك.

اللهم اجعل خير أعمالنا آخرها وخير أعمارنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك.

اللهم آنس وحشتنا في القبور وآمن خوفنا يوم البعث والنشور و يسر لنا يا إلهنا الأمور ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام.

اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين و وفقهم للعدل في رعاياهم والرفق بهم والاعتناء بمصالحهم وحببهم إلى الرعية وحبب الرعية إليهم.

اللهم وفقهم لصراطك المستقيم والعمل بوظائف دينك القو يم واجعلهم هداة مهتدين برحمتك ياأرحم الراحمين.

اللهم وفقهم للعمل بكتابك وسنة نبيك والحكم بشريعتك واقامة حدودك.

اللهم وفقهم لإزالة المنكرات واظهار المحاسن وأنواع الخيرات.

اللهم اجعلهم آمرين بالمعروف فاعلين له ناهين عن المنكر تاركين له.

اللهم أصلح أحوال المسلمين وارخص أسعارهم وأمنهم في أوطانهم.

اللهم أصلح شباب المسلمين وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان واجعلهم من الراشدين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم واهدهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور و بارك لهم في أسماعهم وأبصارهم وأزواجهم وذرياتهم ما ابقيتهم واجعلهم شاكرين لنعمك مثنين بها عليك قابليها واتمها عليهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام يامجيب دعوة المضطر إذا دعاك نسألك أن تعز الإسلام والمسلمين وأن تذل الشرك والمشركين وأن تدمر اعداء الدين وأن تجعل هذا البلد آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين عامة يارب العالمين.

اللهم دمر اليهود والكفرة والمشركين والشيوعين الذين يصدون عن سبيلك و يبدلون دينك و يعادون المؤمنين. اللهم شتت شملهم وفرق كلمتهم وأدر عليهم دائرة السوء.

اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لجميع موتى المؤمنين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة وماتوا على ذلك. اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأ بيض من الدنس وجازهم بالحسنات احسانا و بالسيئات عفواً وغفراناً.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأ برار.

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً.

ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم.

آمين يارب العالمين ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملاحظــات:

أ ــ من أسباب إجابة الدعاء: أكل الحلال والإلحاح في الدعاء والإيقان بالإجابة وطاعة الله ورسوله بامتثال الأ وامر واجتناب النواهي وافتتاح الدعاء بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وختمه بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم.

ب ــ ومن موانع الإجابة: أكل الحرام وشر به ولبسه واستبطاء الإجابة وأن يدعو وقلبه غافل لاه أو أن يدعو بإثم أو بقطيعة رحم أو أن يدعو وهو عاص لله ورسوله بترك الواجبات وفعل المحرمات.

جـ ــ ينبغي للمسلم أن يلازم هذا الدعاء دائماً وخصوصاً في الزمان الفاضل والمكان الفاضل كرمضان في حال الصيام وعند الفطر وعند السحور وفي ليلة القدر وفي الحج وعشر ذي الحجة وفي الحرمين الشريفين وفي آخر الليل و بين الأذان والإقامة وفي يوم عرفة و يوم الجمعة وفي السجود و يكرر الدعاء ثلاث مرات.(١)

و بالله التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم(٢)

---

(١) و ينبغي أن يدعى بهذه الأدعية الجوامع في قنوت الوتر وفي دعاء ختم القرآن الكريم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يختار الجوامع من الدعاء و يدع ما سوى ذلك كما في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود من حديث عائشة وصححه بن حبان. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.
ومن الدعوات المستجابة الدعاء الذي يؤمن عليه كما في الحديث الذي رواه الحاكم.

(٢) المصدر السابق.

أهم المراجع لوظائف شهر رمضان

١ ــ تفسير ابن كثير

٢ ــ لطائف المعارف لابن رجب

٣ ــ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم

٤ ــ الترغيب والترهيب للمنذرى

٥ ــ قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة لابن الجوزى.

٦ ــ النصائح الدينية والوصايا الإيمانية.

٧ ــ صحيح البخاري.

٨ ــ صحيح مسلم.

٩ ــ حادي الأرواح لابن القيم.

١٠ــ عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان للشيخ ابراهيم بن عبيد.

١١ــ تفسير ابن الجوزي

١٢ــ رسالة رمضان تأليف عبد الله الجار الله.

١٣ــ مجالس شهر رمضان لابن عثيمين.

١٤ــ مجالس شهر رمضان للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند.

١٥ــ خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين.

١٦ــ خطب الشيخ صالح الفوزان.

١٧ــ بهجة الناظرين للمؤلف عبد الله الجار الله.

١٨ــ الثمار اليانعة للمؤلف عبد الله الجار الله.

فهـرس كتـاب

الموضوع **إتحاف أهل الإيمان بوظائف شهر رمضان** **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة